
يوميات خلف الأسوار
مجدى أحمد حسين

يوميات خلف الأسوار

مجدى أحمد حسين

العائلة للنشر والتوزيع

العائلة للنشر والتوزيع

عمارة ٦٥ مساكن ضباط الصف - مدينة نصر - القاهرة

تليفون: ٢٢٦١٦٣٠٤

E.Mail: alrailabook@hotmail.com

رقم الإيداع: ١١٩٣٤ / ٢٠٠٨

الإشراف الفنى: طارق الكركيت

هذه اليوميات

هذا هـو الجـزء الأول مـن يومياتى داخـل السـجن وهـو ينقسـم بـدوره إلى قسمين: القسم الأكبر خلال حبسى بتهمة سب "حسن الألفى" وزيـر الداخليـة السابق، والذى استمر ٤ شهور حتى صدر حكم محكمـة النقض بـنقض الحكـم والإفراج عنى، والقسم الأصغر يخص حبسى بتهمـة سـب "يوسـف والى" نائـب رئيس الوزراء وأمين عام الحزب الحاكم ووزير الزراعة فى ذلك الوقت، أى عـام ١٩٩٩. وقد كانت مذكرات قصـيرة لأنـى اسـتهلكت الوقـت فـى كتابـة دراسـة كاملة: (أحكام القرآن الكريم فى مـوالاة الكفـار والمشـركين)، التـى طبعـت فـى كتاب بهذا الاسم طبعتين.

وهذه المذكرات كتبت يوما بيوم داخل السـجن، أنشـرها بـدون أى تعـديل رغم ما قد يكون تغير فى آرائى بالنسبة لبعض التقديرات والأمور الجزئية، وهى أقرب للعمل الأدبى من أى شىء آخر، رغم انطوائها على العديد مـن التـأملات والآراء السياسية والنظرات الفكريـة. ولكـن أهميتهـا فـى أنهـا – مـع المـذكرات المماثلة للمساجين السياسيين – تنشر ثقافة السجن! وتسـقط الحجـب عـن هـذا المجهول المخيف لمن لم يخـبره مـن الشـباب، وتسـقط هيبتـه، وتوضـح حـدود مشكلاته بشكل واقعى دون تهويل أو تهوين. مع ملاحظة أن التعامل معى ومـع باقى الصحفيين لا يقاس عليه، كذلك لا يقاس علـى سـجن مزرعـة طـرة الـذى أسميه: سجن ٥ نجوم. ومع ذلك يبقـى السـجن هـو السـجن، تقييـد للحريـة،

وحجب عن الدنيا الواسعة، ووضع الإنسان فى ظروف جبرية بالنسبة لأمور عديدة.

وأرجو أن يتبع ذلك القسم الثانى، وهو الجزء الأساسى والأكبر لأنه كتب خلال ٨ شهور هى فترة الحبس الثانية فى قضية والى، لأن محكمة النقض أفرجت عنى بعد ٤ شهور بنقض الحكم الأول الذى أصدره "حسيب البطراوى"، والذى مات بعد إصدار الحكم بحوالى شهرين، ونحن لا نزال فى السجن، وكانت مفارقة مذهلة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

مجدى أحمد حسين

مقدمة

هذه اليوميات ليست سوى خواطر سجين حبس ظلما لمدة ١١٥ يوما.. وهى أشبه بثرثرة مع النفس.. وتسجيل لشذرات من المعاناة الإنسانية والنفسية.. وبعض الخواطر السياسية والفكرية.

ترددت فى نشر هذه المذكرات.. لأنها كانت بالأساس للتسرية عن النفس وتنويع أنشطتى داخل السجن.. والحفاظ على قدرتى على الكتابة.. ولكننى رجحت نشرها.. خاصة وهى ليست شديدة الطول.. لأن بعض قرائى طالبونى بها.. ولأنها قد تكون دليل الصحفى والكاتب والمجاهد الساعى للحرية.. لأن الحرية فى بلادنا تمر عبر زنازين السجون.. ولأنها تسد الفجوة التى انقطعت خلالها عن قارئى الذى أعتز به.. والذى أمدنى بكل الثقة والقوة.

مجدى أحمد حسين

الجزء الأول

يوميات سجين
١١٥ يوما وراء الأسوار

الحلقة الأولى

- فى الشهر الأول للحبس بذلت قصارى جهدى لإفشال المصالحة!
- فى دمشق اشتريت احتياجاتى للسجن.. وتوقعت انتظارا أمنيا حارا فى المطار.. وقد كان.
- فى عنبر الضعفاء احتفلنا بعيد الميلاد الـ٥١ لأحد الزملاء بالشاى والبيتى فور.

بسم الله الرحمن الرحيم

سجن مزرعة طرة.. الأحد ١٩٩٨/٤/٥ الساعة الواحدة والنصف صباحا

اليوم أكمل الشهر الأول (٤ أسابيع) من حبسي في قضية - أو بالأحرى إحدى قضايا - صراعنا الضاري مع وزير الداخلية المخلوع حسن الألفي، وكنت قد قررت بيني وبين نفسي عدم محاولة كتابة هذه الأوراق إلا بعد مرور شهر حتى تنقشع المحاولات اليائسة للإفراج عني.. والتي بذلت قصارى جهدي لإفشالها!! لأن هذه المحاولات استندت لإجراء صلح مع الألفي وهو الأمر الذي رفضته باستمرار.. ومن حيث المبدأ على مدار قرابة ٣ سنوات.. فقد رأيت - وما زلت أرى - أن حملتنا الصحفية الكبرى ضد الوزير أصبحت تتسم بأهمية رمزية مبدئية.. تروى قصة صراع الحق ضد الباطل في أواخر القرن العشرين في مصر.. فالموضوع أكثر أهمية بكثير من شخص الألفي.. وما هو إلا شخص عادي أو متوسط ولكنه من محبي السلطة والمال والحياة الدنيا.. وتصادف أن أمتلك سلطة لا محدودة.. وهي سلطة وزير الداخلية.. في بلد تحكمه حالة الطوارئ، وأحاط نفسه ببطانة سوء.. وتفاعلت كل هذه العناصر معا لتخلق حالة فساد استثنائية في جبروتها واتساعها.. ومن ناحية أخرى وفقنا الله في امتلاك أدلة ومستندات على هذا الفساد.. وثبت أقدامنا فحاربنا هذا الفساد بكل ما نملك من قوة.. عندما كان الألفي في ذروة سلطانه.. كنت أدرك أن احتمالات تعرضي للسجن احتمالات كبيرة.. ولكني كنت أدرك أيضا أن المعركة تستحق كل المخاطرة.. فلابد من الناحية الشرعية أن نقوم بهذا الفرض الكفائي.. ولابد من الناحية الوطنية أن تستعيد مصر احترامها وحقها في مقاومة فساد الكبار، الذي يمتص دماء الصغار.

وليست هذه المذكرات محاولة للتأريخ لهذه المعركة الكبرى.. فأعداد جريدة "الشعب" كفيلة بالقيام بهذا الدور، ولكن هذه المذكرات محاولة للتسرية عن النفس وتنويع الأنشطة التى أقوم بها خلال سجنى الذى قد يطول.. وقد تلحق بى أحكام أخرى.. فى نفس قضايا الألفى.. أو فى غيرها.. بعد أن أصبح سجن الصحفى بتهمة السب والقذف أمرا اعتياديا لدى القضاء المصرى لأول مرة منذ أكثر من ٥٠ عاما.

المهم.. لقد مر الشهر الأول سريعا وكأنه ومضة.. فمنذ شهر واحد بالتمام والكمال كنت فى دمشق بأحد فنادقها أغالب النوم كى يأتى، من خلال متابعة أفلام سخيفة على قناة أوربت الفضائية.. واستيقظت بعد عدة ساعات لأجرى لقاءاتى الأخيرة مع بعض الأصدقاء قبل التوجه إلى مطار دمشق، حيث طارت طائرة الخطوط السورية فى السادسة مساء الأحد الموافق ٨ مارس.. بينما لم أنتبه على الإطلاق أن هذا التاريخ هو تاريخ ميلاد أحمد حسين.. والدى العزيز.

وربما لست حالة فريدة فى العالم.. أقصد حالة من يركب الطائرة وهو فى كامل قواه العقلية ليعود إلى بلاده ليسلم نفسه للسجن.. وهو مهدد بسنوات متعددة للسجن، لم يصدر منها إلا عام واحد حتى الآن.. لست أنا الشخص الوحيد فى مصر أو العالم الذى قام بهذا العمل العجيب.. ولكننى قمت به بوعى كامل وليس بمجرد قرار حماسى أو عاطفى.. وهو أمر يطول شرحه.. ولكن كان من عناصر هذا القرار إدراكى للمغزى الرمزى لهذه المعركة التى دخلتها.. فقد رأيت دائما أنها أكبر منى.. ومن الألفى.. فقد تحولت رغما عنى وعن الألفى لقصة أقرب إلى المعانى المجردة منها إلى الوقائع العملية المتشابكة وما أكثرها.. وقد كنت موقنا بضرورة أن تكتمل الدائرة حتى النهاية.

بالنسبة لى اعتبرت أن الإطاحة بالألفى عقب كارثة الأقصر هى نهاية المعركة.. وهى نهاية مظفرة.. فلم يكن لى هدف إلا الإطاحة به.. لتأكيد معنى إمكانية انتصار الحق على الباطل.. وذلك لإعطاء الأمل للناس بإمكانية التغيير نحو الأفضل.. لكنها لم تكن النهاية بالنسبة للألفى أو للنظام.. ولكن هذا لا يعنينى كثيرا.. بل أننى أرى أن إيداعى السجن لن يعيد الاعتبار للألفى.. فهو لن يعود إلى السلطة.. ولن تصدق جمهرة الناس أن ما نشرناه لم يكن صحيحا.. لأن المستندات نشرت بالفعل فى جريدة "الشعب".. وعجز الألفى عن إنكارها فى أى تصريح صحفى أو حتى فى أقواله بالنيابة.. وكل ما كان يفعله هو مجرد محاولة إعطاء تفسير برىء لهذه المستندات! كما أن الإطاحة بالألفى تمت بصورة لم تحدث فى تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة.. فهو الوزير الوحيد الذى أطيح به بعد محاكمته بصورة علنية على شاشات التليفزيون.. ومن قبل رئيس الجمهورية.. وهو الوزير الذى أعقبت الإطاحة به أوسع عملية تطهير فى وزارة الداخلية لا تحدث إلا فى حالة قيام ثورة!! وكل الرموز التى هاجمناها فى جريدة "الشعب" تمت الإطاحة بها من الوزارة.

وفى ضوء كل هذه المعطيات فإن كل يوم حبس فى السجن مكسب لى.. وخسارة للنظام.. لأن وجه الظلم فى هذا الحبس بين للناس كافة.. حكاما ومحكومين.

أعود مرة أخرى للساعات الأخيرة فى دمشق.. حيث أصر صديقى على أن يودعنى بمأدبة غذاء فاخرة قبل أن يوصلنى للمطار.. ولم تفلح معه توسلاتى بأننى مصاب بحالة إسهال حاد.. بسبب مغامرتى مساء اليوم السابق بالعشاء فى أرخص مطعم فى دمشق توفيرا للنفقات!!

ورأيت أن استجيب لكرمه تحت شعار (وداوني بالتي كانت هي الداء).. وأكلت من كل أنواع المقبلات والمشويات الدمشقية الرائعة.. وعندما ودعني في المطار.. ودخلت الدائرة الجمركية.. أصبحت مقيما بصورة دائمة في دورات المياه! وأخذت أفلسف الأمور، وقلت لنفسي إن قراري بالسفر لدخول السجن قرار قاس رغم كل الإدعاءات.. وفرص الحياة المتعة في الخارج واردة على صور عديدة مختلفة.. فأصابني الله بهذا المرض العارض كي لا أفكر في مصيبة السجن.. وأنشغل بمشكلة أمعائي التالفة.. ومع ذلك فبمجرد صعودي إلى الطائرة أعطاني المضيف السوري حبتين كان لهما مفعول السحر.. وعندما حلقت الطائرة فوق القاهرة كان لهذا التحليق مذاق خاص، ولكنني لا أستطيع أن أصفه أو أتذكره الآن.. المهم لقد أصبحت مهيأ نفسيا وبدنيا لاستقبال أمني حار.. ولم أعد قلقا من احتجازي في أحد أقسام الشرطة (حيث أعرف من خبراتي السابقة.. المشكلات الحادة في استخدام دورات المياه) بعد هذين القرصين السحريين.. وبالفعل كان دخولي القاهرة أسهل من أي مرة سابقة.. بل وحتى أسهل من دخولي مع الرئيس مبارك عندما سافرت معه مرة إلى الرياض، ففي هذه المرة كانت سيارة ميكروباص تنتظرني على سلم الطائرة.. وخرجت من المطار بدون المرور على الجمارك والجوازات!! ولكن إلى مديرية أمن القاهرة!! وكانت معي كل احتياجاتي (التي لحقت بي في المديرية).. فأنا قادم من سفر بالخارج.. فمعي ملابسي وبعض الكتب والمجلات.. وكل احتياجاتي الشخصية.. بل وبعض المأكولات.. وكنت قد استكملت احتياجات السجن من أسواق دمشق: بدلة زرقاء للمحكومين، قصافة، كولونيا، معجون أسنان،

صابون، إلخ إلخ.. وكنت قد حلقت شعرى وهذبت لحيتى إلى أقصى حد ممكن، وهو الأمر الذى رحمني من حلاق السجن الذى يطاردنى حتى الآن، فهو يقنعنى بأن شعرى قد أصبح طويلا.. وأنا أقول له: لقد أتيت إلى السجن هربا من حلاقى الخاص عم سيد.. الذى ينتظرنى على الناصية كل يوم فى محاولة للإيقاع بى وإدخالى إلى الصالون.. وعندما أعصى عليه يحمل أدواته ويقتحم عليّ منزلى.. ويبدو أن الإنسان لا يمكن أن يهرب من قدره.. ففى السجن حلاق متجول.. وهو يقتحم عليّ العنبر كل عدة أيام.. لغوايتى بضرورة تهذيب شعرى.. ولكنى ما زلت صامدا.. وأعتقد أننى يمكن أن استمر على "حلقة دمشق" شهرا آخر!!

المهم لقد بدأت رحلتى مع السجن من سلم الطائرة يوم الأحد ٨ مارس.. ومن الصعب تلخيصها الآن.. ولو كتبت مذكراتى فور دخولى السجن لجاءت شجية مليئة بالشجون، ولكننى الآن فى حالة هدوء وسلام نفسى عميق.. بل حالة من التكيف الشديد.. وهى الحالات النفسية التى يمر بها المسجونون لفترات طويلة.. ولكن نظرا لأننى كنت مهيأ وأعيش فى السجن قبل دخولى فيه.. فلقد قطعت خلال شهر ما يقطعه المسجون العادى خلال ٦ شهور أو سنة.

وأعنى بالتكيف أن تكون راضيا بحياة السجن.. وأن يكون السجن مجتمعك وموطنك.. ووطنك الأصلى.. ويصبح العالم الخارجى مجرد امتداد بسيط أو ملحق.. وهو حالة معكوسة لوضعنا خارج السجن.. فنحن خارج السجن نكون مشغولين بأحداث الحياة اليومية.. ونتذكر من حين لآخر أن هناك مسجونين

وراء الأسوار نحن إليهم ونهفو لسماع أخبارهم.. وعندما تصلنا أخبارهم تأتى غائمة.. أو فى هيئة قطع ممزقة من صورة غير كاملة نحاول أن نكملها بخيالنا.. أما الذين يعيشون داخل السجن فالأمر لديهم كذلك بالضبط ولكن بصورة معكوسة.. فالمجتمع هو السجن.. والوطن هو السجن.. وعلاقتنا بالخارج نتذكرها بين حين وآخر.. كما يتذكر الناس فى الخارج المسجونين بين الفينة والأخرى، أما نحن فعالمنا ينتهى عند أسوار السجن.. ورئيس جمهوريتنا هو مأمور السجن.. ووزير الداخلية هو ضابط المباحث أو مباحث أمن الدولة.. والطبيب هو وزير الصحة.. إلخ إلخ.

ولا شك أن المسجون السياسى يختلف عن الجنائى.. فهو مرتبط أكثر بالعالم الخارجى.. ويدعى أنه متواصل مع العالم الخارجى من خلال الصحف والراديو.. والحوارات المبتورة فى الزيارات.. ولكن كل هذه مجرد ادعاءات!! فستظل القضية الرئيسية: هل سنحصل على الفسحة أم لا؟! هل سنصلى العصر فى المسجد أم سنمنع من ذلك؟!

وبالنسبة لى شخصيا فى هذه الحبسة.. ولأننى أوطن نفسى على سجن طويل.. فلقد اكتسبت كثيرا من صفات المسجون الجنائى المحكوم عليه لمدد طويلة.. فمنذ اليوم الأول حرصت على التجول فى مختلف أنحاء السجن للتعرف على أرجاء الوطن الجديد.. بدءا من الترزى.. وورشة النجارة.. حتى عنبر ٢، وهو عنبر السياسيين والتائبين.. حيث وجدت نفسى فيه أكثر.. باعتبارى من الصحفيين التائبين! واكتشفت أن المسجد يغلق فور انتهاء صلاة العصر.. وقلت لهم إن ذلك يحدث أيضا فى البلاد الأخرى التى أتيت منها

(بلاد خارج السجن).. أيضا أصبح اهتمامي بالصحف والأحداث أقل بكثير مما كان.. وكرست كل وقتى لقراءة الكتب الفقهية وتفسير القرآن والكتب السياسية والأدب.

إنها فترة من البيات الشتوى المهم جدا.. ويساعدنى على هذه الحالة الصوفية أننى لست قلقا على أوضاع الحزب أو الجريدة.. وهناك فى الخارج ما يكفى من القيادات (بل كل القيادات ما عدا شخصى) لحسن إدارة العمل.. وليس لرأيى أى أهمية فى إدارة العمل السياسى والصحفى.. وأنا لا أهتم بإيصال أى أراء للخارج إلا فكرة واحدة: (رفض المصالحة مع الوزير المخلوع!).. ولكن إذا كان اليوم هو بداية كتابة يومياتى الشخصية.. فما الذى حدث اليوم؟! لا أريد أن أكتب كثيرا رغم أن اليوم كان مليئا بالأحداث، لأننى لا أريد أن أضيع الساعات الثمينة التى أنفرد فيها بنفسى بعد نوم زملائى الاثنى عشر فى العنبر فى مجرد كتابة مذكرات.. فلابد من القراءة لأننى اليوم لم أقرأ إلا الصحف وهذه كارثة.

باختصار شديد.. كان اليوم حافلا.. زارنى الأستاذ مصطفى بكرى.. والصحفية المناضلة سناء السعيد.. وقد كانت زيارة كريمة أسعدتنى كثيرا.. وقد شكرت مصطفى على موقفه وموقف جريدة "الأسبوع" من مسألة حبسنا (أنا ومحمد هلال وجمال فهمى).. واستمعنا ثلاثتنا لتقديرات متفائلة منه.. وأن حبسنا قد لا يطول.. والمسجون - رغم أى ادعاءات - يحب أن يسمع هذه النغمات.

وأعقب ذلك اجتماع واكتمال الجمعية العمومية للأسرة، فقد زارنى إخوتى

جميعا: مصطفى، إيمان، حرية، إحسان، وزوجتي نجلاء.. وكان لقاء حميما.. قلما نجد الوقت خارج السجن لنحققه.

وفي إطار عملية "الإفساد المنظم" أو هكذا أسميها.. أحضرت أختي إحسان وجبة كباب فاخرة، كانت من نصيبي وباقي أعضاء النقابة (هلال وجمال).. وعم بشير الذي أصبح رابعنا في المأكل وشرب الشاي والظلم، وأنا أقول "إفساد منظم" لأنني كنت أتمنى أن تكون فترة السجن فترة تقشف في الأكل.. فأكتفي بأكل السجن مع بعض التحسينات الطفيفة.. ولكنني لا أريد أن أقسو على زملائي.. ولا على أهلي الذين سيصيبهم القلق بلا شك.. ومع ذلك فربما أتخذ هذا القرار في وقت لاحق.

وبعد أقل أكل ممكن.. لأنني إذا كنت لا أرفض استلام الأكل.. إلا أنني احتفظ بحقي في الاكتفاء بأقل القليل لإقامة الأود.

بعد أقل أكل ممكن استكملت قراءة الصحف.. وفي الساعة الثالثة بدأ التدريب المعتاد لكرة السلة، حتى الرابعة، وبعد ذلك ضاع اليوم في الثرثرة والأحاديث غير المنظمة.. ثم نمت ثلاث ساعات استعدادا لهذا السهر الليلي.. واستيقظت على صراخ التشجيع لنادي سان جيرمان ضد بردو.. حيث قرر أهل العنبر مناصرة الأول ضد الثاني في نهائي كأس فرنسا لكرة القدم، وقد كان لهم النصر.

ولم أبدأ برنامج القراءة الليلي، ولا حفظ آية من القرآن الكريم كما أفعل كل يوم.. لأن اليوم كان عيد ميلاد أحد زملائنا في العنبر، وهو المواطن الوحيد في مصر – أو واحد من عدد ضئيل – الذي حصل على سجن ٦ سنوات في تهمة

"خلو رجل".. رغم أن كل ملاك مصر كانوا يتقاضون الخلوات!! وهو على وشك الخروج بإذن الله يوم ٢٣ من هذا الشهر.. منذ يومين قال لى: عيد ميلادى يوم الأحد القادم.. فقلت بدون تردد: سنحتفل به، خاصة وأنت على وشك الخروج، وبعد ذلك شعرت بورطة شديدة، فليس لى من مقومات أعياد الميلاد إلا علب العصير التى جاءت مع الأستاذين فايز محمد على ود. صلاح صادق، بالإضافة لكميات هائلة من البسكويت لدى جمال فهمى.. وليس هذا كافيا لإقامة عيد ميلاد على مستوى يليق بعنبر الضعفاء (وكان هذا هو اسم عنبرنا)، ولكننى قلت لنفسى: سوف نتدبر الأمر.. ولكن كيف؟ لا أدرى!!

وكان مصطفى بكرى وسناء هما اللذان حلا المعضلة عندما حضرا صباح اليوم بكميات هائلة من البيتى فور الفاخر، وكأنهما كانا يعلمان بقصة عيد الميلاد.

وأقمنا عيد ميلاد جديرا بعنبر الضعفاء.. وعثرنا على شمعة كبيرة مثلت ٥١ عاما هى عمر زميلنا.. وككل المتغربين فى موطننا الثانى خارج السجن غنينا happy birth day.. وأطفأنا الأنوار وأضأنا الشمعة.. وتقارعنا كؤوس الشاى وأكلنا البيتى فور الفاخر.. وتبادلنا الضحكات والأحاديث الخفيفة، وكنت سعيدا أنها المرة الأولى منذ حضورنا إلى العنبر أن اجتمع كل أهل العنبر معا فى لحظة واحدة.. ثم اكتشفنا أن هذه هى المرة الأولى التى يقام فيها عيد ميلاد لهذا الزميل منذ ٥١ عاما!

والآن أستعد لصلاة الفجر.. ربنا تقبل صلاتنا وقيامنا وصيامنا.. إنك قريب تجيب دعوة الداعى إذا دعاك.

الثلاثاء ١٩٩٨/٤/٧ الساعة الواحدة والنصف صباحا

ليس أمامي من وسيلة إلى كتابة هذه المذكرات إلا في هذا التوقيت.. فهذا هو التوقيت الوحيد الذى أتمكن فيه من الانفراد بنفسي.. فرغم أن الانفراد بالنفس من أهم مآثر السجن.. إلا أنه قد أصبح عزيزا عليّ.. حتى أصبح حلمى هو السجن الانفرادى حتى ولو فى زنزانة تأديب.. ولكننى لا أسعى لذلك خشية أن يكون ذلك كفرا بنعمة الله.. فالحياة في مستشفى السجن أقرب ما تكون إلى الحياة الطبيعية باستثناء تقييد الحرية.. أى منعنا من الخروج إلى الشارع! فالحياة هنا صاخبة وحية.. وهى قاتلة للوقت بصورة رائعة، واليوم يمر سريعا.. ولكن ما يشغلنى ليس المرور السريع للوقت، ولكن تحقيق أكبر قدر من الاستفادة الروحية والثقافية من هذه العزلة الإجبارية.. وأحمد الله على ما تحقق على هذه الجبهة.. ولكن جهدى الأساسى مستنزف فى محاولة استقطاع مزيد من الوقت للقراءة والعبادة.. رغم صخب جهازى تليفزيون.. وعدد من الراديوهات الترانزستور.. وحلقات الثرثرة، وهى عملية متواصلة على مدار اليوم عدا الساعات الممتدة من الواحدة صباحا حتى الثامنة أو التاسعة صباحا.. ولذلك أحرص على البقاء مستيقظا طوال هذه الساعات.. وهذا هو الأمر المرهق الوحيد لى.. والمتعارض مع سنن الله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً{١٠} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً{١١}﴾، ولكننى أحاول أن أنام فى الثلث الأول من الليل، حتى أتمكن من المواصلة.

وعندما أكتب يوميات اليوم فأنا فى الحقيقة أكتب يوميات يوم الاثنين الذى انتهى لتوه.. والاثنين كان وقفة عرفات.. وعلى خلاف توقعات

الكثيرين.. فأنا أقل الناس تأثرا بحلول العيد وأنا فى السجن.. فمع الأسف لم يكن العيدان بالنسبة لى إلا فرصة لالتقاط الأنفاس من العملين السياسى والصحفى.. ولعلى أعترف لأول مرة بينى وبين نفسى.. أننى لا أشعر ببهجة خاصة سواء فى عيد الفطر أو عيد الأضحى.. عدا أننى فى عيد الأضحى تهفو نفسى إلى المشاعر المقدسة.. وأتمنى لو أتيحت لى فرصة جديدة لأداء العمرة أو الحج.

لا أشعر ببهجة العيد الإسلامى منذ سنوات طويلة لأننى أرى أنه ليس طبيعيا أن نسعد بهذا العيد وقد افتقد مغزاه.. فالأمة الإسلامية ذات العزة والشوكة هى التى يحق لها أن تسعد حتى الثمالة بأعيادها.. أما نحن فيبدو أنه لم يبق للعيد فى ظل استمرار تواصل اغتصاب الأقصى للعام الحادى والثلاثين على التوالى، وفى ظل استمرار الحصار المفروض على العراق وليبيا حتى أصبح الحج لبيت الله من هذين البلدين بموافقة الكفار.. وفى ظل الهيمنة الإسرائيلية الأمريكية على مقدرات معظم الوطن العربى والإسلامى.. والجهاد ضد هذه الهيمنة لم يصبح بعد ظاهرة عامة فى الأمة.

ومن المنطقى بعد ذلك أن يزداد اغترابى عن الإحساس ببهجة العيد.. وأنا أحيا هذا الوضع المقلوب، حيث غلاة المفسدين يعيثون فى الأرض فسادا.. وننزل نحن ضيوفا على السجون.. لأننا حاولنا أن نقاوم هذا المنكر باللسان!

ولعل عدم الإحساس بالضيق والندم تجاه ابتعادى عن أسرتى فى العيد جزء من قسوتى العامة تجاه هذه الأسرة.. فى إطار تقصيرى العام عن أداء واجباتى الأسرية.. لأننى لا أستطيع ومنذ ٣١ عاما، أى منذ هزيمة ١٩٦٧، أن

أخرج نفسي من حالة أنني جندى يعمل على الجبهة للدفاع عن الوطن والأمة، وليس لى إلا أجازات قصيرة (خمسة أيام كل ٢٠ يوما أو كل شهر كما هو الحال فى الجيش) للاطمئنان على أحوال الأسرة.. مع أن الأيام الخمسة تختزل فى واقعى الشخصى إلى أقل من ذلك.

اليوم (الاثنين) كان أجازة فى السجن.. فلا زيارات.. ولا طبلية (الأكل الذى يأتى من الخارج!)، وفى المقابل كانت إدارة السجن كريمة، ففتحت الأبواب من صلاة الظهر حتى صلاة العشاء.. لتشعرنا ببعض التغيير.. والترييح! وهو الأمر الذى ساعد على ضياع اليوم هباء بين قراءة الصحف وتنس الطاولة والعلاقات الاجتماعية.. وكان عدد الصائمين فى السجن مرتفعا.. وكان هذا ملحوظا فى عنبرنا، حيث تجاوزت نسبة الصائمين ٥٠٪.. وتوافق بالنسبة لى صوم عرفة مع صيام يوم الاثنين.. حيث انتظم فى صيام الاثنين والخميس كلما دخلت السجن.. واستغلت جماعتنا الصحفية (جمال فهمى ومحمد هلال وأنا) فتح أبواب المستشفى لشرب الشاى بعد صلاة المغرب على سلالم المستشفى فى الحديقة.. التى تخدعنا وتوهمنا بأننا لسنا فى سجن.. والحديقة هى فى الحقيقة غيط صغير.. نجد فيه الفول الأخضر والجرجير والبقدونس.. ونحن فى انتظار التوت.. وازدهار العنباية (أى تكعيبة العنب الصغيرة).. لقد حلمت دوما بأن يكون لى بيت صغير بحديقة صغيرة.. ولكننى لم أتصور أن حلمى سيتحقق على هذه الصورة وفى هذا المكان.. ومن برامجى – إذا طالت بنا الإقامة – الاهتمام بتطوير هذا الغيط الصغير.. ورفع مستوى الإنتاجية فيه.

جلسنا نحتسى الشاى والأبواب مفتوحة.. وشعرت يقينا أننا فى معسكر

كشافة وأننا خرجنا من السجن.. وقد أشعرنى محمد هلال بأننى نذل.. لأنه كان متأثرا بغيابه فى العيد عن أهله وبلدته فى كفر الشيخ، بينما لا أرى إلا أنه يوم جديد آخر فى السجن، وإن كنت لا أخفى سعادتى بأن أسرتى ستزورنى غدا.. وأرجو أن تكون الزيارة ميسرة، لأنه يكون يوم الحشر فى السجن.. حيث يأتى أهالى كل المسجونين دفعة واحدة.. ويتحول الأمر إلى مولد.. هذا ما سمعته.. وهذا ما سأختبره غدا أو بالأحرى بعد ساعات قليلة.. حيث من المفترض أن نؤدى صلاة العيد فى مسجد السجن.

الإنجاز الرئيسى اليوم كان إنهائى لثالث قصة من قصص ماركيز، الكاتب الكولومبى الشهير.. وقد انقطعت عن قراءة أعماله ١٨ عاما كاملة.. أى أننى لم أجد وقتا لذلك طوال هذه المدة رغم رغبتى فى ذلك.. وهذه من مكاسب هذه الحبسة.

وانطباعاتى السريعة عن الروايات الثلاث تحتاج لحديث طويل نسبيا.. ولكننى لا أريد أن أضيع الوقت كله حتى صلاة الفجر فى كتابة المذكرات.. ورغم كل شىء.. كل عام وأنتم بخير!

الأربعاء ١٩٩٨/٤/٨ الساعة الواحدة صباحا

كان يوم العيد (الثلاثاء) يوما رائعا أكثر مما تصورت.. فمجرد تغيير الروتين في السجن يشعرك بالحرية.. فالعنابر مفتوحة بعد صلاة الفجر.. وأيقظني محمد هلال لصلاة العيد، فقمت في حالة غريبة من النشاط وصفاء النفس، رغم أنني لم أنم سوى ساعة واحدة، وعندما خرجنا من العنبر شعرت أنني متجه للصلاة إلى مسجد مصطفى محمود للاستماع إلى الشيخ الغزالي!! وقد انتشرت قوة عساكر السجن في الفناء بصورة تجعلك تعيش أجواء صلاة العيد في الخارج.. حيث تقف دوريات الشرطة على النواصي مدججة بالسلاح! مع الفارق أن قوة السجن محدودة وغير مستفزة، ولا تحمل سلاحا.

ووجدت اثنين في ملابس مدنية ملونة يقبلانني.. وعلمت فيما بعد أنهما من الخارجين بقرار العفو بالعيد.. فاستبشرت بهما، على أساس أننا يمكن أن نستفيد من مثل هذا العفو بعد نصف المدة، وعلى طول الطريق إلى المسجد كنا نتبادل التهاني.. ثم جلست خارج المسجد حتى أشعر أنني أصلي في الخلاء.

ولكني أثناء الصلاة اضطررت للدخول إلى المسجد لاستكمال الصفوف، فكان حظي أن أصلي بجوار محمود نور الدين قائد ثورة مصر.. الذي يمضي أشغالا شاقة مؤبدة بتهمة قتل دبلوماسيين إسرائيليين (عناصر الموساد).. ومن مكاسب هذه الحبسة أنني تعرفت على هذا الرجل الفاضل.. الذي فشلت الحركة الوطنية في تحريره من السجن، بينما يبقى هو في سجنه كجبل أشم.. وهذه أول مرة أرى جبلا محبوسا في سجن.. ولا أدري حقيقة لماذا لا يقرأ مسئولونا الأفاضل تاريخ وحاضر الصهاينة في العفو والإفراج عن كل المتهمين بقتل العرب الفلسطينيين؟

بعد الصلاة تواصلنا تبادل التهانى بالسلامات والقبلات.. وعدنا إلى عنابرنا رغم أن الأبواب مفتوحة.. لأن العنبر هو بيتنا.

وكانت معى ملابس زرقاء جديدة.. ولأول مرة منذ الصبا أرتدى ملابس العيد الجديدة.. وشعرت بدون مبالغة أن هذا هو اسعد عيد مر بى منذ عشرات السنين.. ربما لأننى فى السجن أشعر بأننى مرتاح الضمير.. وتسقط عنى كثير من التكاليف الجهادية.. ولا أشعر بوخز الضمير على ضياع فلسطين أو تدمير واحتلال جنوب لبنان.. أو معاناة المسلمين فى كوسوفا والعراق وليبيا والسودان، ففى السجن ليس بيدى أن أفعل شيئا.. بل أكون جزءا من هذا الضياع والاحتلال والتخريب والحصار.. وأحتاج لمن ينقذنى.. وهو نفس الشعور بالارتياح العميق عند حبسى آخر مرة أثناء حرب تدمير العراق.. فعندما قبض علىّ عقب الخطبة التى ألقيتها ضد العدوان الأمريكى فى مسجد عمر بن عبد العزيز.. وتم إيداعى فى قسم الساحل، وجاء لزيارتى الحاج محمد السمان رحمة الله عليه، قلت له: "أشعر بارتياح نفسى شديد.. لأنه لم يعد لى شيئا أفعله لنصرة الشعب العراقى.. ولن أعانى من وخز الضمير، ومن القلق على نقص النشاط الجماهيرى لنصرة العراق، فقد أصبحت أسيرا"، ولم يعكر السعادة فى هذا اليوم إلا عدم حضور أسرتى كما وعدتنى.. رغم أننى اشتريت علبتى لبان من الكانتين لأحمد وهشام.. وسأعطى لهما مهلة إلى الغد فإذا لم يحضرا فأتصرف فى هاتين العلبتين! ولكنى فى المقابل سعدت بزيارة د. مجدى قرقر ومحمد السخاوى ود. علاء الأسوانى.. وكانت زيارة مفيدة سياسيا ومعنويا.. حيث كانت تقديراتنا متقاربة أو متطابقة للموقف المتعلق بقضيتى وقضية حرية

الصحافة والأوضاع السياسية بشكل عام.. واقترحت بعض الاقتراحات لتطوير الحركة التضامنية مع الصحفيين المحبوسين.. حيث أرى أن هذه الحركة حاسمة فى حماية ما تبقى من حرية الصحافة.. وأن هذه المعركة أكثر خطورة وأهمية من القانون ٩٣ المقبور.. وأرى أن الانتصار فى هذه المعركة قد يكون بداية الإصلاح الداخلى الحقيقى الذى نبحث عنه بكل الوسائل.. ليتواكب مع التطورات الإيجابية للحكم فى السياسة الخارجية.. ولإنهاء حالة من الفصام النكد والتى سيؤدى استمرارها إلى العصف بأى شىء إيجابى.

أما الغداء فحدث ولا حرج، فكانت مأدبة تتحدى أى مأدبة خارج وطننا (خارج السجن) فى هذا اليوم.. فلم ينقصنا شىء.. وكانت الوفرة رهيبة، حتى أننا لم نستخدم كل ما وصلنا من إمدادات (مأكولات العيد).. وتم تأجيل الكميات الكبيرة المتبقية لباقى أيام العيد.. والمشكلة الكبرى أن إمدادنا بالكتب أقل بكثير من إمدادنا بالفتة، فقد انتهت معظم الكتب الشيقة والممتعة، ولم يبق إلا بعض الكتب المملة، وأواصل نداءتى فى كل الزيارات مع استجابة ليست على مستوى الموقف!! ويبدو أنهم لا يصدقون سرعتى فى استهلاك الكتب.

حدث اليوم تطور مذهل جديد.. فقد تم إعداد ملعب للكرة الطائرة وآخر للتنس، واستخدمنا ملعب التنس الذى لا ينقصه شىء إلا استواء الأرض! ورغم سعادتى بالعقلية التى تدير هذا السجن بقدر حزنى على أحوال كل السجون الأخرى.

أقمنا اليوم حفلا جديدا لتوديع أحد نزلاء العنبر.. والذى سيخرج غدا إن شاء الله.. والإفراج عن أى سجين يشيع البهجة لدى الجميع من أجله.. وكذلك بسبب الشعور بمرور الزمن.. حيث يحلم كل واحد بيومه الذى ينتظره.

واصلت اليوم القراءة فى مدارج السالكين لابن القيم، وهو من الكتب التى لا أقرؤها دفعة واحدة، ولكن فصلا فى كل يوم، ووصلت اليوم إلى منزلة "الرضى"، ومن مكاسب السجن كما أذكر مرارا.. استكمال النقص.. وسد الثغرات.. فى الجبهات التى لا تجد لها وقتا كافيا فى عالم ما وراء السجن.. فقد واصلت اهتمامى بالقراءة فى الصوفية.. ولكن على فترات متقطعة.. والآن لدى وقت للدراسة والتأمل والرياضة.. وقد استفدت روحيا أيما استفادة.. وأيضا توغلت فى الموضوع.. وأصبحت رؤيتى أكثر تبلورا.. وهو ما يطول شرحه.

الحلقة الثانية

- الصحف أصبحت شبيهة بالمنازل المهجورة التى تصفر فيها الرياح.
- أجواء السجن ذكرتنى بمحنتى فى أذاربيجان.
- فى السجن اكتشفت أن بطرس غالى خفيف الظل ولماح وابن نكتة!
- انتفاضة بلقاس والحكم بإعدام عايدة يدقان ناقوس الخطر.
- حين تحول التليفزيون إلى جهاز تعذيب!
- لم يصلنا حتى الآن صحفى أصفر واحد.. والحملات الجنسية تملأ الصحف!!
- عندما تساءلت: هل سيثاب الألفى وقضاتى رغم أنفهم؟!
- قاومت بانتظام حالات الغيظ التى كانت تصيبنى من شدة الإحساس بالظلم.

الخميس ١٩٩٨/٤/٩ الساعة ٥,٣٠ صباحا

كنت تصور أننى سأنام فور الانتهاء من صلاة الفجر.. ولكننى لم استطع مغالبة متعة الانفراد بالنفس.. وقراءة القرآن قبل انبلاج الصبح.. الأربعاء كان ثانى أيام العيد.. وعادت أبواب العنابر تغلق فى المواعيد المعتادة وانتهت فترة السماح التى نعمنا بها فى الوقفة واليوم الأول من العيد.. ورغم أننى لست متخصصا فى القلق.. فأننى شعرت بالقلق لعدم مجىء أسرتى، وانشغلت بقراءة الصحف اليومية شبه الخالية مما يستحق القراءة.

ليس فقط لأن الحملة على حرية الصحافة انعكست على الكتاب والصحفيين بحيث اختفت الموضوعات المثيرة للجدل.. ولكن أيضا لأن الأحداث المثيرة شبه متوقفة فى مصر والعالم الخارجى منذ دخولنا السجن.. وكأن القدر لا يريد التعتيم على قضيتنا، وفى الآونة الأخيرة لعل أبرز حدث هو اغتيال أحد قادة حماس وهو الأمر الذى قد يؤدى تفاعله إلى أحداث خطيرة فى فلسطين، ولكن من السابق لأوانه التكهن بذلك. أقول كنت مشغولا بقراءة الصحف التى أصبحت شبيهة بالمنازل المهجورة التى تصفر فيها الرياح.. عندما وصلتنى أنباء الزيارة، وذهبت للقاء الأستاذ عادل حسين وزوجتى د. نجلاء القليوبى وأحمد وهشام وسائقى.. وقد أسفت أنهم لقوا مشقة كبيرة لدخول السجن.. فالأستاذ عادل يقوم بمجهود يفوق قدرة البشر خاصة خلال الشهرين الماضيين.. وقد أدى غيابى إلى مضاعفة المسئوليات العملية المباشرة الملقاة على عاتقه.. أدعو الله أن يحفظه ويمتعه بالصحة.. تداولنا فى الأمور المتعلقة بقضيتى.. وفى أفضل وسيلة لاستغلال السجن.. واقترحت عليه أن يفكر معى

في موضوع دراسة أتفرغ لكتابتها.. واقترحت بصورة أولية دراسة عن تطورات الكيان الإسرائيلي.. واتفق معي بشكل أولي.. ولم يبق إلا توفير المراجع.. واطمأننت على أحوال الأسرة.. وحدثني ابني أحمد عن الرسائل التي وصلتني عبر الإنترنت (البريد الالكتروني).. وجاءتني دفعة من الكتب يمكن أن تمثل احتياطيا معقولا لمدة أسبوع على الأقل. وتوافر هذا الاحتياطي من أهم عناصر رفع الروح المعنوية.. وهكذا ضربت هذه الزيارة عدة عصافير بحجر واحد.. أما عن الأكل فقد أصبح هو مشكلتنا الكبرى.. فأنا أكتب الآن وأنا محاط بكل ما لذ وطاب من أطايب الطعام.. دون أن أمد يدي إليها.. بالإضافة لما وضعناه في ثلاجة الكانتين، والموضوع بالفعل أصبح جديرا بالتأمل الفلسفي!! فنحن (جمال وهلال وأنا) لا نأكل إلا قليلا، ونضطر لعقد اجتماعات طارئة لحسن توزيع المأكولات الفائضة بصورة كبيرة قبل أن تفسد.. إلا أن الأمر تحول إلى معضلة جديدة إذ ما نكاد نوزع بعض الهدايا حتى ترتد إلينا مضاعفة!

وكأننا في الجنة ما نكاد نأكل ثمرة حتى تظهر بدلا منها ثمرة جديدة أو اثنتان، وقد ذكرني هذا الموقف بحالي في مستشفى العظام في باكو بأذربيجان عندما دخلت إليه منذ عام ونصف العام خلال حضوري أحد المؤتمرات هناك.

وحيث بقيت أسبوعين كاملين.. كانت أشد أزمة تصيبني في العمود الفقري.. أدت بي إلى شلل مؤقت شبه كامل حيث كنت عاجزا عن الحركة.. وابتليت في إيماني ابتلاء شديدا.. وكنت في غرفتي بالفندق قبل نقلي على المستشفى اصرخ إلى الله.. ولا أقول أدعو الله.. فقد كان أشد الألم الذى عرفته في حياتي يعصف بي.. حتى عجزت عن قراءة القرآن.. وحتى عن البكاء،

وكان عليّ أن أتخذ قرارا صعبا إما العودة إلى القاهرة محمولا على نقالة أو دخول المستشفى فى باكو.. وبعد تردد دام يومين اتخذت قرارا بدخول المستشفى.. بعد أن بدا لى أننى اكتشف اكتشافا جديدا عندما قلت.. إن الله موجود فى باكو كما هو موجود فى القاهرة! والحقيقة لم يكن أمامى خيار كبير فالسفر من باكو على القاهرة سيمر عبر اسطنبول.. حيث يجب أن أمضى ليلة كاملة فى الفنادق.. وإذا فعلت ذلك بحالتي المتدهورة فسيكون عذابا ما بعده عذاب.. خاصة أن الحقن المسكنة كان اثرها ينتهى سريعا ولا يمكننى أن آخذ أكثر من حقنة واحدة فى اليوم. ولكن القرار الصعب الحقيقى كان فى موافقتى على أخذ نوع خاص من العلاج (حقن فى الظهر).. وكان فى ذلك مغامرة بكل المقاييس.. ولكنه كان البديل الوحيد لعملية جراحية أعرف تماما مدى ضررها.. ولو أصابتنى هذه الحالة فى القاهرة لكان محتما عليّ إجراء هذه العملية.. لأن العلاج بالحقن غير متوافر.. ولكن الله أرسل لى ملاكا فى صورة الدكتور "يشار" وهى ترجمة لـ "يحيى".. فقد اطمأننت له تماما.

وهو ساعدنى على اتخاذ القرار.. ومع ذلك عندما استعد فى المستشفى لحقنى بالحقنة الأولى.. قلت له: هل تؤمن بالله؟ قال لى: أشهد أن لا إله إلا الله. قلت: إذن على بركة الله.

خلال هذين الأسبوعين أخذت أتماثل للشفاء بصورة بطيئة.. حيث تعلمت المشى من جديد.. المهم لقد كنت وحيدا فى "باكو" لا أعرف التركية.. ولا لهجة أذاربيجان المشتقة منها، ولا الروسية.. والدبلوماسى الأذاربيجانى الكريم "شاهين" الذى أدخلنى المستشفى - وفى الجناح المخصص أصلا لقادة الحزب

الشيوعى فى أيام الشيوعية الخوالى – عاد إلى القاهرة.. ولا أعرف أحدا فى هذه البلاد.. ولم أتعرف على أحد إلا فى الفندق الذى كنت فيه.. وحيث عجزت عن حضور أى جلسة من جلسات المؤتمر.. وهو مؤتمر تضامنى مع أذاربيجان ضد العدوان الأرمينى على "ناجورنى كاراباخ".. ولم يكن معى إلا بضع مئات من الدولارات.. ولكنها كانت كافية لتغطية نفقات العلاج.. وبالمستشفى أكل رسمي (كمستشفيات الحكومة المصرية).. ولكن الأرض انشقت عن عشرات البشر، وأصبحت غرفتي أشبه بالبوتيك من كثرة الهدايا والمأكولات.. وقررت أن أحولها – أى غرفتي – لمركز توزيع.. لأنه لا قبل لى بكل هذه الكميات.. بالإضافة لشهيتي المفقودة.. وتكرر نفس الموقف الذى أعيش فيه الآن تحت شعار (ونحن بمال الخيرين نجود) إلا أن الهدايا ترتد علىّ بهدايا مضادة مضاعفة فى عملية أشبه ما تكون بالتراكم الرأسمالى الذى تحدث عنه كارل ماركس!

من أحداث اليوم.. لعبت أول مباراة رسمية فى التنس، رغم رداءة الملعب، وانهزمت أمام بطل السجن وهو أردنى دمث الخلق ٦/٢ فى مباراة من مجموعة واحدة لضيق ذات الفسحة!

ولكننى قدمت عرضا يليق أن يطلق عليه "تمثيل مشرف"!! على طريقة تمثيلنا المشرف في الدورات الأوليمبية، ولكن أهم ما فى الأمر أننى اطمأننت على تحسن حالة الانزلاق الغضروفى فى الرقبة.. وفى الفقرات القطنية.. فالمواظبة على التمرينات والحركة على مدار أكثر من شهر أتت بثمار واضحة.. فحمدا لله.. وإن كنت لا أدرى هل سيثاب الألفى وقضاتى رغم أنفهم لأنهم أتاحوا لى فرصة للعلاج والعبادة.. الله تعالى وحده أعلم.

واستمتعت اليوم بقراءة أعداد من صحيفة الأستاذ لعبد الله النديم.. التى ترى فيها كيف جمع هذا المجاهد بين الحس الشعبي والصحفي.. وبين الصفاء الفكرى، وكيف أنه فى صحيفة الأستاذ وفى أواخر القرن التاسع عشر حسم النديم عديدا من القضايا (كعلاقتنا بالغرب)، ولكننا ما زلنا فى أواخر القرن العشرين نتلعثم حول البديهيات.

كما واصلت قراءة كتاب "بطرس غالى" "طريق مصر إلى القدس"، وكنت قد بدأت قراءته فى آخر عطلة قصيرة لى بالإسكندرية.. وهو من الكتب التى أدهشتنى حقا لعدة أسباب.. فقد اكتشفت أن بطرس غالى شخص خفيف الظل.. ولماح.. وابن نكتة.. وقد كان انطباعى عنه غير ذلك.. فقد كان أستاذى.. وعندما حضرت له محاضرة أو اثنتين قررت عدم الحضور له.. لثقل ظله، ولأنه لا يجيد الحديث بالعربية.. ولأنه لا يقول فى المحاضرة إلا ما هو موجود فى كتابه.

كذلك تعمق عدائى لبطرس غالى بعد ارتباطه بحقبة كامب ديفيد.. ثم وصل عدائى له إلى الذروة خلال توليه منصبه فى الأمم المتحدة فى أسوأ مرحلة من تاريخ هذه المنظمة الدولية.

وفى هذا الكتاب الذى لم أنته منه بعد.. يوضح بطرس غالى أنه لم يكن بعيدا عن المدرسة الدبلوماسية المصرية فى عدم الموافقة على أسلوب السادات وتقديراته.. وكيف أنه كان يؤدى عمله كموظف مخلص.. والكتاب مكتظ بالروايات التى تكشف مهزلة إدارة الحكم فى عهد السادات، ومخاطر الحكم الفردى الديكتاتورى.. والكتاب يكشف أيضا حالة التبعية الثقافية للغرب فى

شخصية بطرس غالى.. وليس فى هذا اكتشاف جديد.. ولنا عودة للكتاب بعد الانتهاء منه.

لليوم الثانى على التوالى واصلت مهمتى الشاقة فى إحياء تدعيم معرفتى باللغة الفرنسية، وقرأت موضوعا فى "لوموند"، واكتشفت أننى افهم منه حوالى ٢٠٪ واستخرجت ٢٠ كلمة من القاموس، رغم أننى ما زلت فى العمود الأول! ولا وسيلة لى لإتقان اللغة الفرنسية إلا أن استكمل الحكم القضائى حتى أكتوبر القادم، حيث يمكن أن أخرج فى عفو أعياد ٦ أكتوبر.. وحقيقة أنا فى حيرة من أمرى.. أريد أن أخرج من السجن كأى سجين.. وأيضا لأن هذا يستقيم مع الحق والعدل، ولكننى من ناحية أخرى أريد أن أبقى لاستكمال برامجى الروحية والتثقيفية.. ولذلك لا أبالغ عندما أقول أننى أدعو الله أن يختار لى الأصلح: (إنك تعلم ما لا نعلم، إنك أنت الأعز الأكرم).

السبت ١٩٩٨/٤/١١ الساعة ٢,٣٠ صباحا

الوضع لا يطاق، وحربنا ضد جهازى التليفزيون ما زالت مستعرة.. فما نكاد نقنع مجموعة بخفض صوت تليفزيون.. حتى يرتفع صوت التليفزيون الآخر.. ورغم أننى بدأت اليوم محاولة جديدة للتكيف.. بمشاركة جمهور العنبر والعنبر المجاور الذى يفد إلينا أفراده رغم أن لديهم تليفزيونا ثالثا.. فى مشاهدة بعض الفقرات.. حتى أريح نفسى لبعض الوقت من مغبة معاناة القراءة فى ظل الضوضاء.. فانخرطت فى مشاهدة مباراة الزمالك والإسماعيلى.. إلا أننى لا أحتمل صوت التليفزيون المستمر.. رغم أن متابعته لا تخلو من مغزى.. للتعرف على مستوى الانحدار الفنى.. فاليوم الجمعة وفرض علىّ مشاهدة ذروة من ذرا السخافة اسمها فيلم (...) وقد شاهدته إجباريا خلال قراءتى لقصة "ذات" لصنع الله إبراهيم.. لأن الفيلم لا يحتاج لأى نوع من التركيز.. كما شاهدت بنفس الطريقة مساء الخميس مهزلة اسمها مسرحية (...) والتى كان التليفزيون مضطرا لحذف بعض بذاءاتها.. ووصف هذه المسرحيات بأنها هابطة نوع من التكريم، إنها لا شىء على الإطلاق.. ويمكن أن تندرج تحت اسم "الفن الأصفر"!! ولا أدرى لماذا لم ينتبه أصحاب الحملة ضد الصحافة الصفراء لهزلية موقفهم حين لم يتعرضوا للمسرح الأصفر.. والتليفزيون الأصفر، والسينما الصفراء الفاقع لونها التى لا تسر الناظرين.. وهو دليل إضافى على بهتان ما يدعون من أنهم يحاربون الصحافة الصفراء حماية للأخلاق والقيم.. بينما هم فى حقيقة الأمر يحاربون صحافة الرأى الجادة.. ونحن هنا فى السجن (قسم نقابة الصحفيين) لم يصلنا حتى الآن صحفى أصفر واحد.. بل إن صحافتهم تصدر

بانتظام وتواصل حملاتها الجنسية بصورة بذيئة.. إنها إذن قنبلة دخان لضرب آخر ما تبقى من الهامش الديمقراطي المحتضر.

والطريف أن هناك إجماعا في كل المستشفى حوالى "٢٠ نزيلا" على سخافة الفيلم والمسرحية المشار إليهما، رغم تفاوت المستويات الثقافية للنزلاء!

وفكرت اليوم في الانتقال للعنبر الثانى لأنه أقل صخبا.. خاصة بعد أن أكدوا لى في العنبر الآخر أن صوت التليفزيون لا يعلو على حد معين.

لم تكن هناك زيارات في كل السجن يومى الخميس والجمعة، وتصرفت اليوم على أساس أن اليوم الجمعة أجازة فتعمدت التأخر في النوم حتى اقتراب موعد صلاة الجمعة.. وفي صلاة الجمعة تعلمنا شيئا جديدا من الخطيب، وهو ضرورة الخضوع للحاكم الظالم، وأن نتعبد إلى الله بخضوعنا للحكام الظالمين، وقررنا في قسم الصحافة (هلال وجمال وأنا) عدم الاستماع للخطبة بعد ذلك، والتوجه للجامع عند إقامة الصلاة فقط.

كما أخذت اليوم أجازة من النشاط الرياضي.. واكتفيت بقراءة الصحف، وكان أهم خبر هو ما نشرته الصحف الإسرائيلية عن وجود عدة رؤوس نووية لدى إيران تم جلبها من إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

أما أطرف خبر فكان اهتمام جريدة الوفد بنبأ في الصفحة الأولى عن اكتشاف أو استنباط نوع من الطماطم الصفراء، وذلك في إطار الاهتمامات الصفراوية لصحيفة الوفد.

أما أهم نبا داخلي فكان التمرد الجماهيري في مركز بلقاس بالدقهلية.. احتجاجا على وفاة مواطن في قسم الشرطة تحت التعذيب.. وليس في هذا

جديد، أما الجديد فهو أن التمرد لم يكن موجها للشرطة فقط، بل امتد لمقر النيابة، لأن الجماهير اتهمت النيابة بالتواطؤ مع الشرطة في إخفاء السبب الحقيقي لموت المواطن، وهذه حلقة جديدة في سلسلة انهيار هيبة جهاز العدالة.. وكانت ثورة الرأى العام فى الإسكندرية ضد الحكم بإعدام الممرضة عايدة ظاهرة جديدة تدق نواقيس الخطر في ذات المجال.. فهذه فيما أعلم أول مظاهرة جماهيرية ضد حكم قضائي.. ويبدو أن الشعور برفض الحكم كان عاما بحيث تطلب الأمر حملة إعلامية حكومية مضادة للدفاع عن الحكم وعن احترام الأحكام القضائية عموما، حتى تصدرت قضية عايدة افتتاحيات الصحف اليومية وبعض برامج التليفزيون.

إن تعاظم الضغوط السياسية والإدارية على العمل القضائى أصبح خطيرا، وقد تناولت ذلك من قبل في عدد من المقالات.. وتناوله أساسا د. محمد حلمى مراد – رحمة الله عليه – والمستشار يحيى الرفاعى شيخ القضاة، وأحسب أننى سأواصل الاهتمام بهذا الموضوع عندما ينعم الله عليّ بنعمة الحرية.

إن هامش الاستقلال القضائى فى تقلص مستمر، ويأتى فى إطار الردة الشاملة في مجال الحريات.. وهو أمر ينذر بكل أنواع الشرور والفتن، وهو من علامات اضمحلال النظام السياسى ككل.

وتمكن اليوم جمال فهمى ومحمد هلال من الاستماع بصعوبة لمونت كارلو، حيث أذيع برنامج لمدة نصف ساعة عن أزمة حرية الصحافة فى مصر، فى صورة مناظرة بين جمال بدوى رئيس تحرير الوفد وجلال عارف، ورأى جمال فهمى وهلال أن عارف انتصر فى المناظرة على بدوى.

ولكن المهم فى الأمر أن القضية عادت إلى الظهور الإعلامى من جديد بعد أجازة العيد، وأن الأسبوع القادم سيكون مشحونا بالنشاط استعدادا لانعقاد الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين يوم الجمعة.

ورغم انشغالى بالبرامج التثقيفية والعبادة، فإن المرء لا يملك بين الفينة والأخرى إلا أن يشعر بالغيظ لوجودنا فى السجن، بينما الفاسد الحقيقى محصن من المساءلة، وأحمد الله أن هذا الشعور بالغيظ لا يستمر إلا دقائق محدودة كل بضعة أيام، وعزاؤنا المباشر أن الناس كل الناس تقريبا تدرك هذه الحقيقة، وسيكون لتمسكنا بالحق بإذن الله أثره المباشر فى المدى القريب، وبصورة أكبر فى المدى البعيد فى تأكيد حق الشعب وقواه السياسية فى التقويم والمحاسبة والتغيير، وفى تأكيد احترام إرادة الشعب، وفى إقناع السلطة أنه من الأفضل لها أن تعترف بفساد أحد وزرائها بدلا من الزج بالأبرياء فى السجون، للتمويه على هذه الحقيقة الساطعة التى تؤكدها عمليات التطهير المتوالية حتى هذه اللحظة فى وزارة الداخلية.

الحلقة الثالثة

- تعليقات على مقال إبراهيم سعدة ضد حبس الصحفيين.
- هذا المجتمع "الهادىء الوادع العادل".. لا يقض مضاجعه إلا طولة لسان بعض الصحفيين!
- الحملة ضد حرية الصحافة لم تشر إلى ضرورة محاكمة المفسدين.
- قرأت لأول مرة أدب صنع الله إبراهيم.
- شبح مانديلا.. وأول خطاب يصلنى فى السجن.

الأحد ١٩٩٨/٤/١٢ الساعة الثانية صباحا

كان يوم السبت هادئا.. وبدون زيارات.. استيقظت في الحادية عشر صباحا على نداءات أهل العنبر يدعونني لقراءة مقال إبراهيم سعدة بأخبار اليوم، ولكنني احتجت لأكثر من ساعة لممارسة طقوس الاستيقاظ بعد سهر الليالي، ثم قرأت الجمهورية أولا وكان بها نبأ عني في صفحة الحوادث، ثم قرأت مقال إبراهيم سعدة الذي كان مانشيت أخبار اليوم حول حرية الصحافة.. ورغم ما في المقال من دلالات إيجابية تخص أزمتنا الراهنة (فرع نقابة الصحفيين بطرة) إلا أن انطباعي العام كان مشوبا بالقلق من زاويتين:

١- التركيز على فكرة الرفع الشديد للغرامات بصورة تؤدى إلى إفلاس الصحف الفقيرة (كصحيفة الشعب) كبديل لحبس الصحفي في قضايا السب والقذف، وهذا نذير شؤم، لأنه يعالج مصيبة حبس الصحفي بمصيبة أعظم! إغلاق الجريدة كلها!

فالغرامات قد ارتفعت بالفعل بما يكفي إلى ٧ الآف جنيه ونصف الألف، و١٠ الآف.

أما التعويضات فهي متروكة للقضاء، الذي يجب أن يراعي مستويات المعيشة في مصر، والأوضاع المالية المتفاوتة بصورة حادة بين الصحف القومية والصحف الحزبية، وهي مشكلة غير موجودة في أمريكا وأوروبا.. وكذلك مراعاة التوازن بين الجريمة المفترضة والعقوبة، فلن تكون حماية حرية الصحافة عن طريق إغلاق جريدة (عبر إفلاسها) بسبب خبر واحد، أو مقال واحد، مسألة عادلة أو متوازنة.

٢- النقطة الثانية.. تتعلق بالجدل الدائر فى المقال المذكور.. وفى مختلف التناولات الأخيرة للأزمة فى الصحف المختلفة.. حيث ينطلق الكثيرون من أن الصحافة هى المتهمة دائما، والمعضلة هى هل نعاقبها بالجلد أو الإعدام أو السجن؟ إلخ.

أى أن محور الجدل هو كيفية التعامل مع هذه اللئيمة (الصحافة).. فسمعنا لأول مرة أن المحاكم ستنصب داخل النقابة، والمعروف أن دور النقابة هو أساسا حماية أعضائها والدفاع عن مصالحهم لا محاكمتهم.. ولا يمكن مقارنة ذلك بالتأديب الذى قد يتعرض له الطبيب في نقابة الأطباء، أو المحامى فى نقابة المحامين.. فنحن نقابة رأى.. ولا يمكن فصل ما يسمى بالسب والقذف عن الرأى.. فهذه أمور تقديرية، وتختلف تقديراتها من شخص لآخر، ومن سياق لآخر، إن النقابات المهنية تؤدب أعضاءها إذا انتهكوا شرف المهنة بصورة صارخة تتعلق بأخلاقيات المهنة وشرفها.. كطبيب يسرق كلية.. أو محام يمارس النصب، إلخ إلخ.. وهى فى حالة نقابة الصحفيين يجب ألا تتعدى عمليات النصب والاحتيال والابتزاز التى يمارسها بعض الصحفيين للحصول على أموال بصورة غير مشروعة.. أما "السب والقذف" فهو متداخل مع الرأى، ولا يمكن الفصل بينهما كما يدعى المستشار عشماوى كما ورد رأيه فى مقال سعدة.

وأنا لا أدعو لرفض مناقشة وضع ضوابط للصحافة على الإطلاق.. فهذا أمر مناف للطبيعة.. ولكن لا يمكن مناقشة هذا الموضوع بصورة مبتورة عن باقى خريطة الديمقراطية.. أو الخريطة الاجتماعية.. أو عن باقى وظائف مؤسسة العدالة.

فمن غير المقبول أن تكون القضية المطروحة هي: هل من الأفضل سلق الصحافة في الماء المغلي، أم قليها في الزيت، أم تحميرها في السمن؟!

وكأنها هي الذبيحة الوحيدة، أو كأنها السفاح الجديد الذي ندرس بعد القبض عليه: إعدامه أم إيداعه في السجن المؤبد أم إيداعه في مستشفى الأمراض العقلية؟! فهذا المجتمع الهادىء الوادع العادل لا يقض مضاجع هدوئه ووداعته وعدالته وطهره إلا طولة لسان بعض الصحفيين.. ولم نسمع كلمة واحدة عن محاكمة الوزراء وكبار المسئولين.. ففي صراع الصحافة مع هؤلاء لا يوجد إلا احتمالان.. إدانة الصحافة أو تبرئتها.. أما الطرف الآخر فهو محصن ضد المحاكمة والمساءلة القانونية، منذ سقوط قانون محاكمة الوزراء الذي تم تشريعه خلال الوحدة مع سوريا (١٩٥٨ - ١٩٦١) والسلطة تريد أن تقول لنا: إن وزيرا واحدا لم يخطيء خطأ قانونيا منذ ٣٧ عاما.. بينما السجون ممتلئة بالغلابة المخطئين، وينام على بعد أمتار مني الآن مواطن محكوم عليه بأكثر من خمس سنوات، لأنه لم يسدد شيكات مجموعها ٢٤٠٠ (ألفان وأربعمائة جنيه).. ونحن نتساءل: كم عدد الوزراء وكبار المسئولين الذين حصلوا على مبالغ تبدأ من ٢٤٠٠ جنيه حتى المليارات بصورة غير شرعية، ولماذا لم يحاسبوا قانونيا؟!

كم عدد المرات التي ضبطت فيها الصحافة المسئولين متلبسين في ارتكاب الجرائم ولم يحاسبوا قانونا، وبعضهم استمر في الحكم.. وبعضهم خرج.. باعتبار الخروج من الوزارة أقصى عقوبة.. إن فكرة العدالة إذن مختلفة في بلادنا، وفكرة القانون مخذلة، وهذا ينعكس على آليات عمل مؤسسة العدالة التي أصابها الخلل الفادح.

لا يمكن مناقشة ما يسمى بالسب والقذف، والذى يظهر على السطح كمصطلح قانونى لتشويه الحملات الصحفية المخلصة ضد الفساد دون مناقشة الطرف الآخر للمعادلة وهو الفساد والمفسدون.

ولا يعقل أن يتم التركيز الآن على شتى القيود التى تلجم الصحافة فى وقت تمثل فيه المظهر الوحيد الباقى للديمقراطية والتعددية.. فإذا جرت هذه المناقشات حول ضوابط الصحافة في وقت يجرى فيه إصلاح الأوضاع الانتخابية وأوضاع النقابات ومجلس الشعب لأمكن أخذ الحديث بصورة بريئة.. أما الآن فنحن أمام جسد محتضر للديمقراطية.. لا تتحرك فيه إلا ذراع واحدة (الصحافة) ويجتمع الأطباء لدراسة تقييد هذه الذراع المتحركة بدلا من معالجة المرض القاتل للجسد المحتضر.

ونحن كحزب ذى توجه إسلامى.. من المفترض أن نكون الأكثر سعادة وترحيباً بمحاربة ابتذال ما يسمى الصحافة الصفراء.. ولكن شريطة ألا تكون كلمة حق يراد بها باطل، وقد تحدثت عن ذلك فى مذكرات الأمس.

ليس هذا نقدا لمقال إبراهيم سعدة.. فالمقال فى حد ذاته نموذج للعمل الصحفى المحترف.. وهو ملىء بالنوايا الحسنة فيما يتعلق بمسألة حبس الصحفيين فى قضايا النشر، وهو مشكور عليه من سجين يشعر بالظلم!

ولا يمكن كتابة أكثر من ذلك فى صحيفة قومية.. ولكن المقال أثار فى نفسى هذه الملاحظات التى أفكر فيها وأنا أتابع السيل الذى نشر فى الصحف القومية خلال الأسابيع الماضية حول نفس الموضوع.

وأخيراً لن أكون سعيدا.. إذا كان ثمن الإفراج عنا صدور قانون مجحف

يغالى فى مسألة الغرامات بصورة تهدد حرية الصحافة التى هى الهدف فى النهاية.

وواصلت اليوم الاستماع إلى نماذج جديدة من الجنائيين.. وكل واحد منهم وراءه قصة.. ويا ليتنى كنت كاتب قصة أو رواية.

اليوم بداية الصيف.. وبدأ الغزو المركز للبعوض والذباب، ولكن الأمر ما زال محتملا.

انتهيت من قصة "ذات" لصنع الله إبراهيم.. وقد شعرت أن هذا الرجل عجيب.. فقد كان يمتلك فى يده زمام قصة ممتازة، ولكنها أفلتت من يده، ولم يحافظ على مستواها حتى النهاية، وكأنه عدّاء ماراثون جيد.. ولكنه لم يتمكن من مواصلة السباق حتى النهاية.. أعجبنى فى القصة موقفها النقدى المرير والشجاع من مرحلة الانفتاح الاقتصادى (التبعية لأمريكا والغرب).

وأعجبنى الأسلوب التكنيكى المبتكر باستخدام قصاصات ونصوص الصحف.. رغم أنها استخدمت بتوسع أكثر من اللازم.

القصة فقدت تشويقها وترابطها فى النصف أو الثلث الأخير، هذا من ناحية البناء الفنى، أما من حيث المضمون فواضح اختلافى مع العداء الشديد للكاتب للمد الإسلامى.. حيث يعتبره من إفرازات الانفتاح الاقتصادى والتبعية. القصة صادرة فى ١٩٩٢، وأرجو أن يكون رأى الكاتب مختلفا فى ١٩٩٨.

أول مرة أقرأ لصنع الله إبراهيم فى هذا السجن، وقد بدأت بـ "تلك الرائحة" وهى أيضا قصة جيدة.. ويرى د. علاء الأسوانى أنها أفضل قصص صنع الله إبراهيم.

والملاحظة المشتركة بين "تلك الرائحة" و"ذات".. أن الجنس يحتل مساحة أكبر من مساحته الحقيقية فى الواقع، ولا يخلو تناوله من فجاجة لا أرى أنها ضرورية لتأكيد الواقعية، كذلك لا أستسيغ التوسع فى حكاية أن الجنس يرمز لأشياء أخرى.

وهذه الملاحظة لا تتعلق بأدب صنع الله إبراهيم.. بل بالأدب اليسارى والحديث عموما، وقد قرأت حتى الآن فى هذا السجن ٨ روايات من هذه المدرسة.

نفحة إلهية:

كثيرا ما دعوت الله ساجدا أن يشد من أزرى ويثبت أقدامى.. فقد كتبت كثيرا عن أننى لا أهاب السجن.. ولكن الكلام شىء والواقع شىء آخر.. ورغم أن السجون استضافتنى من قبل مرتين.. واستضافتنى التخشيبة فى الأقسام عدة مرات.. فإن هذه هى المرة الأولى التى يواجهنى فيها سجن طويل نسبيا، ولا أعرف نهايته، لأن المحاكم ما زالت دواليبها تعمل، لذلك فإننى أراقب نفسى عن كثب.. وكأن نفسى شخص آخر أراقبه.. وأوجهه.. وأنصحه! ! وقد كشفت المراقبة حتى الآن أننى متكيف مع الموضوع! وأن هذا التكيف يتواصل مع الأيام.. ولكننى لا أستطيع التكهن بشعورى بعد شهرين أو ثلاثة.

بعد وصولى بأيام إلى هنا حاول أحد الزملاء الجنائيين شد أزرى.. وقال لى: إن كل المجاهدين والمناضلين دخلوا السجن وعمروا فيه، ومن الطبيعى أن تمر بهذه التجربة.. وأخذ يعدد لى من الأمثلة.. حتى وصل إلى مانديلا الذى أمضى فى السجن أكثر من ربع قرن! وقلت له أتفق معك ولكن لا داعى لمثال مانديلا.. ربنا يستر ويرحمنا.

ولأننى غير قادر على التنبؤ بشعورى بعد شهرين أو عامين أدعو الله أن يثبت الأقدام.. وأعزى نفسى بصحبة الجنائيين والسياسيين، فهذا أمضى ٢٦ عاما، وهذا ٢٢ عاما، وهذا ١١ عاما فقط، وما زالوا واقفين على أقدامهم ويتمتعون بالصحة والعافية والقوى العقلية السليمة!

أقول هذا بمناسبة النفحة الإلهية التى وصلتنى مساء السبت (أمس).. فبينما أنا منهمك فى القراءة جاءنى الشاويش النبطشى بخطاب مفتوح ومضى لحال سبيله دون أن يشرح لى.. وتوجست خيفة.. فلعله خطاب من مصلحة الضرائب، فقرون استشعارها لا تعمل إلا معى (وأمثالى).. ولا شك أن أساليبها تطورت وتستخدم الكمبيوتر.. وعلمت بمقرى الجديد.

أو لعله خطاب من المحضر يطالبنى بدفع الغرامة.. وقد ذهب إلى منزلى بالفعل مرتين للحجز على "العفش".

وبدلا من كل هذه الهواجس أسرعت بمد يدى داخل الخطاب المفتوح، وشجعنى أن الظرف بريد جوى.. ولابد أن مصلحة الضرائب.. أو إدارة تنفيذ الأحكام.. ما زالتا تستخدمان الظروف الصفراء الكئيبة.. وبالفعل فقد كان خطابا من أحد القراء.. منذ أيام رأيت أحد المخبرين يقرأ خطابا.. وعلمت منه أنه يمارس الرقابة على الخطابات قبل تسليمها للمساجين، وسألته هل يمكن أن أتلقى خطابات من الخارج، فقال نعم، ولكن بعد قراءتها بمعرفة الإدارة.. وعدت إلى العنبر وطلبت عقد اجتماع طارئ لفرع نقابة الصحفيين بطرة (جمال وهلال وأنا) وبحثت معهما الاقتراح.. لماذا لا نعلن فى جريدة "الشعب" أن مراسلاتنا من القراء نتلقاها على سجن مزرعة طرة.. فلا شك أن هذه الإمكانية

لن تخطر على بال القراء. إلا أن الأغلبية رفضت هذا الاقتراح لأن الخطابات ستتعرض لرقابة مشددة.. كما أنه من الأفضل أن تصل الرسائل إلى جريدتى "الشعب" و"العربى" للإسراع بنشرها.. واضطررت للموافقة حتى يكون القرار بالإجماع!

ولكننى كنت بين نفسى أجد متعة كبيرة فى الاقتراح.. متعة التواصل مع القراء.. خاصة وأنه سيكون لدينا الوقت الكافى للرد.. وإن كان ذلك عبر رقابة السجن.. ولكن هذا التواصل سيشعرنى أكثر بأننا أحياء!

ولكننى كما ذكرت ابتلعت اقتراحى.. ونسيته حتى جاءنى هذا الخطاب.. وأسعدنى لأن هذا القارىء العزيز تعامل معى بنظرية توارد الخواطر (التليبثى).. ونظرا لسعادتى وامتنانى بهذا الخطاب لأننى وجدت فيه نفحة إلهية تشد أزرى.. ولأنه ربما يكون الخطاب الوحيد الذى سيصلنى.. وفيما يلى نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى المحترم الأستاذ الكاتب الصحفى..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة والسلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

هل تتذكرنى؟ فأنا مواطن مصرى معجب بك ومن قرائك..

عزيزى المحترم: لم استطع أن أتقدم بطلب لزيارة سيادتكم لعدة أسباب، منها: أن هناك من هو أحق منى فى أن يتشرف بزيارتكم، فعلى سبيل المثال أفراد أسرتك، وأيضا أفراد الأسرة الصحفية فى مصر والعالم العربى.

عزيزى المحترم:

إن موقفك هذا هو موقف الرجال منذ أن خلق الله آدم عليه السلام. لا أطيل

عليك، ولكن كل ما أستطيع أن أهديه لسيادتكم أن أدعو لك بتعجيل صدور قرار الإفراج بإذن الله، وتعود إلى عملك، وأخيرا تقبل تحياتى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك المخلص

منير وديع

الخميس ١٦/٤/١٩٩٨ الساعة ٢,٣٠ صباحا

منذ يومين نعيش تجربة مريرة جديدة فى السجون.. وهى موجة الحر الخانقة.. التى لابد أن جميع أهل مصر يعانون منها خاصة فى الأحياء الشعبية حيث لا تكييف ولا مساكن واسعة وصحية.

وهذه أول مرة يدركنى الصيف وأنا خلف الأسوار.. فكل حبسى السابق كان شتويا.. ورغم الحرارة والإرهاق اللذين نعانى منهما.. وشربنا مياه ساخنة.. وصعوبة التركيز فى القراءة، فإن معاناتى الأكبر كانت فى تصور حالة المسجونين فى ظروف أسوأ مننا.. ما هو حال السجين فى موجة حر كهذه وهو محبوس فى زنزانة صغيرة لا يوجد بها إلا طاقة صغيرة للتهوية؟ أما بالنسبة لنا فنحمد الله رغم أننا شعرنا بلون جديد من معاناة السجن.

الحلقة الرابعة

- انتظرت رفض الاستشكال.. حتى أنظم حياتى بصورة أفضل.
- نجيب محفوظ أتعب كل الأدباء الصاعدين.. وحياتنا الأدبية والفنية تحتاج لثورة.
- مصطفى أمين اقترح "عيد الحب".. وأنا اقترح "عيد الظلم"!
- استيقظت من النوم فوجدت نفسى فى ميدان التحرير!
- افتقدت دور عسكرى الدورية الذى أمارسه فى البيت.
- فى شم النسيم وصلتنا كمية من الفسيخ كافية لتسميم أمة بأسرها!

الثلاثاء ١٩٩٨/٤/٢١ الساعة ٢,٣٠ صباحا

ها أنذا أعاود الكتابة بعد استسلامى لعدة أيام لحالة روحية خاصة.. لا أستطيع وصفها بدقة.. ولكنها حالة من الزهد فى الحياة.. وتوقفت عن القراءة المرهقة فى الكتب النظرية، واستسلمت لجولة واسعة فى القصص والروايات.. مع قيامى ببعض الرياضات الروحية وإعطاء فترات أطول للتأمل والتفكر.

اليوم "الاثنين" كان عيد شم النسيم.. والطريف أن الحياة كانت هادئة عندما استيقظت، تماما كما تكون عندما استيقظ في منزلى فى يوم عيد أو أجازة.. ولعل ذلك يرجع إلى عطلة العاملين بالمستشفى.. وتواصلنا شعبيا مع جماهير بلاد ما وراء السجن.. حيث توافرت لدينا كميات هائلة من الفسيخ والبصل الأخضر والملانة.. قادرة على تسميم أمة بكاملها.. فقد جاءنا الفسيخ من كل حدب وصوب ولكن فسيخ "نبروه" يكسب إذ أحمد الله أننى بعد مرور ١٢ ساعة على هذه الموقعة الانتحارية ما زلت سليما معافى.

وكان من المفترض أن أواصل انقطاعى عن كتابة المذكرات.. وقد تملكني إحساس بأن تسجيل مشاعرى أو أفكارى يوما بيوم.. ليس له خطر أو أهمية.. ولكننى أمسكت القلم بصعوبة بمنطق تسلية النفس.. وحتى لا أنسى حرفة الكتابة، ولأن اليوم سيكون يوما حاسما.. وبالتحديد بعد ساعات قليلة.. فربما تنتهى هذه المذكرات.. أو تتواصل.. فبعد ٥ ساعات تقريبا من الآن من المفترض أن تصل قوة من شرطة الترحيلات لنقلى ومحمد هلال إلى المحكمة لنظر الاستشكال بوقف تنفيذ الحكم لحين الفصل فى النقض.

وهذه من اللحظات الممضة.. أعنى بها لحظات عدم التأكد وضرب

الأخماس فى الأسداس.. فالشئ الأكثر راحة للنفس أن يستقر الإنسان حتى ينظم حياته أفضل تنظيم داخل السجن.. فكثير من مشروعات الاستقرار والعمل متوقفة على جلسة الغد.. فلابد أن أنتظر الاستشكال حتى اتفق مع ورشة النجارة كى تصنع لى منضدة.. كى استخدمها فى الكتابة والقراءة الجادة ومذاكرة اللغة الفرنسية.

كذلك لابد من انتظار قرار رفض الاستشكال حتى ننظم علاقاتنا مع زملائنا فى العنبر بصورة أكثر دقة.. من حيث التحكم فى أوقات الإضاءة.. وأوقات استخدام التليفزيون.. والراديوهات، وأيضا مستوى ارتفاع أصوات هذه الأجهزة. كذلك لابد من انتظار قرار رفض الاستشكال حتى أشرع فى دراستى عن الكيان الصهيونى.. وقد وصلتنى أول دفعة من المراجع.. وهى لا بأس بها على الإطلاق.

والحقيقة لقد وصلتنا مؤخرا مجموعة رائعة من الكتب مهداة من لجنة سجناء الرأى.. ود. علاء الأسوانى ومن أسمهان شكرى، ومن زوجتى د. نجلاء.. التى تحملت نصيب الأسد فى متاعب توفير احتياجاتنا.. وكان من بين هذه الكتب مجموعة كبيرة من قصص نجيب محفوظ، وكانت فرصة لى لاستكمال ما لم اقرأه منها.. والحقيقة لقد كان السجن فرصة رائعة لى لعمل جولة واسعة فى عالم الأدب.. فلا أعتقد أن أى سياسى جاد يمكن أن ينعزل عن هذا العالم.. ويكون سياسيا متوازنا، فعالم الأدب بالإضافة لما يقدمه من رؤية سياسية واجتماعية ونفسية ومادة تثقيفية من واقع الحياة.. بحيث يمد قارئه بخبرات جديدة لم يمر بها هو شخصيا ويضمها إلى خبراته، وبالإضافة لما يقدمه الأدب من حصيلة لغوية بلاغية وتعبيرية ومتعة فنية وإنسانية.

بالإضافة لكل ذلك.. فمن العار على السياسى ألا يعرف الأوزان الحقيقية لمثقفى بلاده من خلال الإطلاع المباشر على إنتاجهم.. وتحديد موقفه وتقييمه لهم.. وهكذا تمكنت من القراءة لأول مرة لعدد كبير من الأدباء المصريين المشاهير من الجيل الحالى، وأود أن أكتب انطباعاتى عنهم، ولكن الآن ونظرا للإرهاق الناجم عن قلة النوم أكتفى بالقول.. إن نجيب محفوظ أتعب كل الأدباء الصاعدين وأنه قمة فنية وأدبية مخيفة.. (رغم الخلاف الأيديولوجى معه) وقد أعدت اكتشاف هذه البديهية بصورة عملية حيث كنت أفزع إلى قصصه كلما أصابنى الإنهاك والملل من كثير من قصص الأدباء الصاعدين والمشاهير، وهذه مسألة خطيرة كمؤشر جديد على حالة الجدب الثقافى التى تصيب الأمة.. حيث لا يعوض المجتمع ما يخسره من قمم فى مختلف المجالات.

إن حياتنا الأدبية (القصصية والشعرية) تحتاج لثورة حقيقية.. تحتاج لحراثة عميقة للأرض.. تفتح المجال لبروز مواهب أصيلة جديدة.. تجدد حياتنا الثقافية المحتضرة.

انتهزت فرصة نوم الجميع.. وتسللت إلى ردهة المستشفى من خلف القضبان حيث تتراءى ظلال أشجار حديقة المستشفى.. (وكأن الله لن يسمع دعائى وأنا فى داخل العنبر!!) ودعوت الله أن يختار لى الخير، وأن يختار لى الأفضل فى طريق الجهاد.. فإن كان البقاء فى السجن فبها ونعمت.. وإن كان إفراجا فالحمد لله.. ليس هذا فقط من قبيل التسليم والرضا بما يقسمه الله، بل أيضا لأننى بالفعل أعانى من مشاعر محايدة تجاه الاحتمالين!

الجمعة ١٩٩٨/٤/٢٤ الساعة ٣,٣٠ صباحا

نام أهل العنبر.. وأمارس كعادتى الاستمتاع بالانفراد مع نفسى.. كان يوم أمس الخميس عاديا إلا من تقلب المشاعر.. وقد ختمنا سهرتنا منذ دقائق بموقف طريف انتزع منى أعمق الضحكات، بل وأصابنا بما نسميه "كريزة ضحك" وقد كانت رحمة من الله.. فقد كنا فى احتياج لموقف مضحك كى يزيل آثار الفيلم الأمريكي الرائع الكئيب عن سجن الكتزار.. وقد نصحت زملاء العنبر بعدم مشاهدته لأنه غير ملائم لحالة المسجونين.. فالحكاية مش ناقصة.. حقا نحن لا نعيش فى ظروف مماثلة لظروف سجن الكتزار، ولكننا نعرف أن فى بلادنا سجونا مماثلة.. وبعضنا مر بهذه السجون وشاهد بعض ويلاتها.. وهناك حالة نفسية مشتركة بين كل المساجين.. بغض النظر عن حسن أو سوء المعاملة.. وبالفعل لم يستطع البعض مواصلة مشاهدة الفيلم.. أما الأقلية التى صمدت وكنت منها.. فقد تسللت الدموع من مآقى بعضنا.. متسترة بالظلام.. ولكن أضواء جهاز التليفزيون كانت تفضح هذه الدموع المتسللة.

وقبل معاناة هذا الفيلم كنا نعانى من تناقض آخر، فنحن نتابع حفلة القوات المسلحة.. نحن هنا نعانى من ظلم أهل الوطن، وبالتالى نتعجب عندما نتابع احتفالا وطنيا، ويصاب المرء بحالة من الشيزوفرينيا.. حيث يتنازعه شعور السعادة بذكريات حرب أكتوبر.. رغم فداحة ثمن استعادة سيناء فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ (اتفاقية كامب ديفيد)، ومن ناحية أخرى ننجذب لشعور آخر وهو الغربة عن هذا الوطن بأفراحه وأحزانه وحفلاته.. فأنت مستبعد من هذا الوطن.. ونتساءل لماذا لا يجعلون للظلم أيضا عيدا يحتفل به؟ خاصة وهو من

أهم إنجازاتنا القومية التى لا يختلف عليها اثنان! ومع ذلك فقد كانت الحفلة جيدة بالمقارنة مع آخر حفلتين (شم النسيم - حريتى) لأنها تضمنت أغانى لسيد درويش وماجدة الرومى.. وقد كانت الحفلة دليلا جيدا على الاحتضار الفنى فى مجال الموسيقى والغناء (بالإضافة للقصة والشعر والمسرح) فالحفلة لم يرتفع مستواها إلا بأغانى سيد درويش التى ظهرت فى أوائل القرن.. وبمغنية لبنانية ما زالت تتغنى باللغة العربية!! (بالمناسبة التليفزيون ليس امتيازا خاصا لنا.. بل هو مسموح به فى كل عنابر هذا السجن وبعض السجون الأخرى).

يوم الثلاثاء الماضى رفض الاستشكال.. وبدأت بالفعل مرحلة جديدة لتنظيم حياتنا فى الوطن الجديد (مزرعة طرة) فأصبح لدى منضدة صغيرة.. وبدأت أعمل عليها فى ساعات منتظمة.. موهما نفسى أننى أعمل فى غرفة مكتبى.

وبدأت فورا فى إعداد مادة دراستى عن الصهيونية وإسرائيل، وأوشكت على الانتهاء من الكتاب الأول، وهو عن تاريخ الليكود.. كما بدأنا تنظيم الحياة فى العنبر بصورة تسمح بالمزيد من العمل والإنتاج (القراءة والكتابة) ويجب أن أقر بأن أهل العنبر من غير الصحفيين وهم عشرة أشخاص، مجموعة طيبة ومتفاهمة.. وبدأت تكون رأيا مباشرا فى أشخاصنا.. فنحن لسنا مجرد صحفيين، بل أصحاب رسالة، ونحاول أن نعمل من أجل خير الوطن.. وبدأوا من أنفسهم يحرصون على توفير مناخ أكثر ملاءمة لنا.. فانخفض صوت الراديوهات والتليفزيون إلى أقصى حد.. فيما عدا المناسبات الكبرى (كحفلة اليوم).. وبدأوا يتحدثون همسا إذا وجدونا منهمكين فى القراءة.. وهو الأمر الذى ساعد على زيادة إنتاجى فى الأيام القليلة الماضية، وبالتالى لم يعد على جدول

أعمالى التفكير فى الانتقال للانفرادى، أو للعنبر المجاور. كذلك اشعر بالسعادة من انتهاء محنة المثول أمام نفس الدائرة التى حكمت علىّ، فقد كنت أشعر بالمهانة الشديدة من الذهاب إليهم لنظر الاستشكال.. ولن أذهب إليهم مرة أخرى بإذن الله.. ولن استمع بعد ذلك لشائعات الإفراج عنا وسأتفرغ لعملى فقط.. حتى لا تكون هذه الفترة ضائعة من العمر.

اليوم زارنا وفد من المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، وأطلعونا على برنامجهم بجعل هذا العام.. عام الدفاع عن حرية التعبير، وابلغونا أن ٣٠ منظمة من منظمات حقوق الإنسان العالمية أصدرت بيانات عن قضيتنا وتتابع تطورات حبسنا.

الآلام فى ظهرى عاودتنى يوم الذهاب إلى المحكمة.. وهو الأمر الذى أصابنى بالإحباط.. بعد كل التدريبات الرياضية التى أقوم بها.. وقررت مواصلة التدريبات بصورة أكثر حزما.. ولعل وعسى.

يؤسفنى أن أترك زوجتى فى هذه الأشهر الحاسمة.. فأحمد بالثانوية العامة.. وهشام فى أولى ثانوى.. ورغم أننى لا أفعل الكثير فى متابعتهما.. ولكننى على الأقل كنت أقوم بدور عسكرى الدورية القديم.. الذى يصيح بين الفينة والأخرى (ها.. مين هناك!) فلا شك أن هذه الصيحة كان تساعد على استتباب الأمن.. ويعزينى أن زوجتى المجاهدة ستقوم بالواجب.. كما أننا عودنا أبناءنا على أن يكونوا رجالا ويعتمدوا على أنفسهم، ولكن أولا وأخيرا أسأل الله التوفيق.

الثلاثاء ٢٨/٤/١٩٩٨ الساعة ٣,٣٠ صباحا

يوم الاثنين كان يوم عطلة رأس السنة الهجرية.. ومن حسن الطالع أننى بدأت العام الهجرى صائما.. ومن رحمة ربى أن كان الجو رائعا.. ولا أعرف هل سأصمد فى صيام أيام الاثنين والخميس طوال فترة الصيف أم لا عندما تكشر الحرارة عن أنيابها مع تأخير الساعة، حيث سيصل المغرب إلى الثامنة مساء.. أحسب أننى سأواصل لأننى هنا أحقق الأحلام التى لا أتمكن منها فى زحام الحياة، وعلى رأسها أداء نوافل الصوم والصلاة.

ونحن نشعر بالعطلة فى السجن ليس فقط لغياب موظفى المستشفى، ولكن أيضا لغياب موظفى السجن، ووقف الزيارات هو الأمر الذى يضفى هدوءا على وتيرة الحياة.

استيقظت الساعة الواحدة ظهرا.. وقد انتابتنى الحالة التى تصيبنى كل عدة أيام، ولكن لدقائق معدودة، حيث أتساءل مع نفسى بقوة: لماذا أنا هنا؟! وإلى متى يمكن أن أتحمل ضجيج العنبر؟! فنحن هنا فى عنبر الضعفاء مركز اجتماعى وفى الصباح نكون مركزا لعشرات المساجين والعساكر.. وأشعر أحيانا أننى أشبه بمن يستيقظ فيجد نفسه وقد كان نائما فى ميدان العتبة أو التحرير.. ومع ذلك فاليوم كانت الجلبة أخف، لأن التجمع كان فى حديقة المستشفى لروعة الطقس.. ولأننى ابحث عن الهدوء بقيت فى العنبر لقراءة الصحف التى أصبحت قراءتها لا تستغرق إلا دقائق محدودة.. ثم أجهزت على الكتاب الخاص بتاريخ الليكود الذى استغرق منى وقتا طويلا نسبيا (قرابة ٥٠٠ صفحة) ولذلك رأيت فى المساء أن أكافىء نفسى بقراءة قصة لنجيب محفوظ وكانت

القاهرة الجديدة.. وقد أوشكت على الانتهاء منها.. واكتشفت أننى لم أقرأها من قبل.. إلا إذا كنت قد قرأتها فى سن مبكرة جدا.. والقصة الأصلية تكون أروع بلا شك من الفيلم السينمائى.. ومن خصائص كتابات نجيب محفوظ هى قدرته الهائلة على جذبك من السطر الأول أو الصفحة الأولى، بحيث تكون منجذبا بصورة لا إرادية.. لاستكمال القصة حتى النهاية.. وهذه من خصائص الكتابات الرائعة فى شتى المجالات.. وليس فى الأدب وحده.. وكم يفكر المرء عدة مرات فى التوقف عن مواصلة كتاب أو قصة لإصابته بالملل أثناء القراءة مع أدباء آخرين.. ويضطر أحيانا لمواصلة القراءة لمجرد الفضول أو اكتساب القدرة على تقييم الكاتب.

بدأت فى قراءة كتاب د. المسيرى عن الجماعات السرية الهدامة لليهود.. ويبدو أنه إضافة مهمة وخطيرة للمسيرى فى المجال الذى تسيده (الصهيونية) وهو يشحذ العقل للتفكير ويحتاج إلى التعليق والمناقشة بعد الانتهاء من قراءته.

لا أحب الانعزال عن أهل السجن، ولكنى أحرص على عدم تقليل ساعات الدرس والقراءة، إلا إذا حدثت أحداث غير عادية.. ولذلك أمضيت اليوم وقتا طويلا مع أحد الجنائيين (...) لأنه ألمت به أمس الأول نوبة شديدة أثرت على صحته.. إلا أنه اليوم الاثنين تماثل للشفاء.. فأخذنا نتحدث معه.. ونثرثر، ونضحكه، وهذا الزميل حالة درامية كاملة، فهو تجاوز السبعين بعدة سنوات وينتابه شعور بأنه سيموت قبل خروجه من السجن، وهو يحلم بأن يعاشر زوجته ولو لمرة واحدة قبل موته.. وعالمه يضيق من حوله.. ويبث كل مشاعره الحنونة للقطط. ونجده الساعة الثانية صباحا يترك فراشه ليلعب مع القطط.

التى يرعى عملية تغذيتها بأشهى المأكولات.. والقطط فى السجون عالم كامل.. تجد من المساجين من يرعاها ويحنو عليها ويحبها كأطفاله، وتجد من يضربها ويقتلها كوسيلة للتنفيس وبالأخص من المساجين المحكومين بمدد طويلة.

وهذا الزميل لم يحفظ آيات من القرآن إلا فى السجن، وهو يصلى بانتظام.. وحالته تبعث فى نفسى إحساسا عميقا بالعجز.. العجز عن التقييم.. العجز عن تقدير موازين العدالة.. نحن فعلا نحتاج إلى إله.. من غير الله.. من غير العدل.. العدل المطلق.. يستطيع أن يقدر حالة مثل حالة هذا الرجل.. هل ٥ سنوات فى السجن قد كفرت عن جريمته وآثامه وذنوبه؟! حقيقة أعجز عن التفكير فى هذه الأمور.. ولكننى أتعامل مع الناس جميعا بكل الحب.. مخاطبا جوانبهم الإيمانية وما أكثرها.. إن العلاقات الإنسانية الاجتماعية هنا أكثر رقيا من الخارج بكثير (وأنا أتحدث عن هذا السجن بالتحديد) وزملاء السجن أكثر من أهله وعشيرته.. وعندما مرض هذا الزميل تفانى الناس جميعا فى خدمته، وعموما فإن قيم التكافل والتراحم تمارس على أعلى مستوى فى هذا السجن.

ومن دواعى إحباطى أن آلام العمود الفقرى عاودت طريق التدهور.. لقد أشعرنى هذا العمود الفقرى بشيخوخة مبكرة.. وبزهد متزايد فى الحياة.. وهذه من حكمة ربى.. وأنا أقاوم إجراء عملية جراحية منذ قرابة ٥ سنوات.. وبالعلاج الطبيعى.. والإبر الصينية.. وأبر أذاربيجان.. ولكننى مهما تقدمت لا أتجاوز أبدا احتمالات الخطر.. أو التدهور.. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الحلقة الخامسة

- لم يكن بإمكاني تجنب السجن إلا بالتخلي عن الشرف.. وهذا ما لا يرضاه أحد لي.
- الحياة تحولت إلى شريط سينمائي أشاهده ولا علاقة لي به!

الجمعة ١٩٩٨/٥/١ الساعة الثالثة صباحا

ها آنذا أعاود كتابة مذكراتي خشية أن تكون هي الإنجاز الوحيد الذي سأحققه في مجال الكتابة خلال السجن، فمهما بذلت من مجهود.. فإن الساعات الفاقدة كل يوم كثيرة، فأنا أعيش في سويقة حقيقية خاسرا حلاوة الاعتكاف، اللهم إلا سويعات الليل المتأخرة.

اليوم يبدأ أول أيام شهر مايو، أى بداية شهر ثالث.. وهذا يعني أن الوقت يمر بسرعة معقولة، وأصبحت أكثر تكيفا مع الحبس.. حيث لم يعد أمامي أى فرصة للتفكير في الإفراج إلا بعد انتهاء الحكم القضائي.. وغيرت برنامجي في القراءة على أمل إنجاز دراسة الصهيونية.. فأصبحت أركز القراءة في هذا المجال فحسب، بالإضافة إلى بعض القصص للترويح، وهذا أثر على برامجي في القراءات الفقهية.. ولكن أحسب أن دراسة إسرائيل عملا إسلاميا من الطراز الأول.. وكلما قرأت أدركت حجم جهلنا بإسرائيل.. حتى في أوساط أكثر المثقفين عداء لإسرائيل.

إنني لا أجد متخصصين وخبراء في الشئون الإسرائيلية يستحقون هذا الاسم عدا د. المسيري.. ورغم عظم ما يفعله د. عبد الوهاب المسيري وهو مؤسسة في حد ذاته.. إلا أن هذا الوضع لا ينسجم مع الإدراك السليم لضرورة دراسة الكيان الذي يشكل الخطر الرئيسي على الأمن القومي المصري (طبعا د. محجوب خبير كبير في الشئون الإسرائيلية ولكنه يعتبر نفسه فلسطينيا أكثر منه مصريا!) ولقد انتقت لي د. نجلاء كتابين من صميم اهتماماتي.. أدخلاني في عمق البحث الذي أريده.. وأشرت إلى الأول وهو عن تاريخ الليكود.. أما

الثانى فهو أكثر أهمية، إنه كتاب لإسرائيل شاحاك.. ومن العجب أننى لم ألتفت إليه من قبل.. وهو إسرائيلى علمانى معارض لرجعية الديانة اليهودية.. وكتاباته كنز من المعلومات.. معظمها جديد على إدراكنا.

اليوم تأكد لنا أنهم بدأوا يضيقون على الزيارات حتى لو كانت بتصريحات رسمية صريحة من النائب العام.. فيوم الأربعاء منعت زيارة لمحمد هلال، ويوم الخميس منعت زوجة جمال فهمى من مقابلته.. واليوم الجمعة سنبحث وسائل الرد على هذا التطور غير المفهوم.

اليوم (الخميس) كان بالعنبر إصلاحات فى نظام توصيل التيار الكهربى، وانتابتنى نفس مشاعرى عندما يكون بالمنزل صنايعية يربكون الحياة اليومية.. هذا ما حدث اليوم بالعنبر، فكان الملاذ هو حديقة المستشفى.. ومر اليوم كالنسيم.. فالصيام يضفى شفافية إضافية على حالة السجن لأنه يضع مسافة إضافية بين المرء والعالم الخارجى.. فيبدو كأنه يشاهد شريطا سينمائيا لا علاقة له به!

شعورى بالراحة والهدوء النفسى ينقلب أحيانا إلى إحساس بالذنب والتقصير.. فأنا هارب من معاناة مشكلات العمل الحزبى والصحفى والسياسى وأستنيم إلى الاسترخاء والقراءة والتثقيف وهدوء البال.. وأنا هارب أيضا من مسئولياتى الأسرية.. وعزائى أننى مضطر لهذه الراحة أو الأجازة الإجبارية.. وما كان بإمكانى أن أتجنب السجن إلا بالتخلى عن الشرف.. وهذا ما لا يرضاه أحد لى.. وأنا أقول أجازة رغم نشاطى البحثى.. ردا على طلب الأستاذ عادل حسين منى أن أفكر وأقترح موضوعات جديدة للجريدة.. وأن أكتب مقالات عن

إسرائيل بمناسبة ١٥ مايو (٥٠ عاما على تأسيس إسرائيل).. فأنا ألمس بنفسى الآن أن الأسير ناقص الأهلية.. وأنه مع مرور الأيام يفقد إحساسه بمستوى حركة الواقع فى الخارج.. فالصحف غير كافية، ولا وسائل الإعلام الأخرى تكفى لامتلاك هذا الإحساس الواقعى بالإضافة إلى طغيان نفسية العزلة على التطورات اليومية والزهد فى الحياة.. إلخ.

أما كتابة مقالات عن إسرائيل فهذا ممكن.. ولكن ليس الآن.. فأنا فى بداية عملى.. ولا أريد كتابة مقالات خفيفة.. وأفضل إنجاز دراسة (كتاب).

خلال الأيام الأخيرة تم الإفراج عن بعض المساجين لانتهاء مدة أحكامهم.. أو لوقف اعتقالهم.. وهذا يعطى إحساس بتحرك الزمن.. وإن باب السجن ذو اتجاهين: داخل – خارج، وخلال أيام قليلة سيخرج عدد ممن عرفتهم فى السجن.. وهو الأمر الذى يعزز هذه المشاعر.

فى الأيام الأخيرة وصلتنا مجموعة من الرسائل والهدايا من زملاء بالجريدة والحزب ومواطنين لا نعرفهم.. ولهذه الرسائل والهدايا أهمية معنوية لا تقدر بمال.

موعد صلاة الفجر يقترب، لذا أدعو الله ألا تكون هذه المحنة هباء منثورا.. بل تكون لبنة فى بناء الخير الذى نستهدفه لأمتنا.

الاثنين ١٩٩٨/٥/٤ الساعة الرابعة صباحا

يوم الأحد كان روتينيا.. بلا زيارات.. وعكست الصحف تصاعد مشكلة منعنا من الزيارات.. ووصلت إلى مجلس الشعب حيث وعد فتحى سرور بحل المشكلة مع وزير الداخلية.. والأستاذ محمد العزبى واصل للمرة الثانية مقالاته الصريحة المتضامنة معنا.. والتى تعكس استنكاره لعدم اكتمال الجمعية العمومية.. والحقيقة أن عدم اكتمالها أكد حقيقة أن رؤساء تحرير الصحف القومية قادرون على منع الأغلبية الساحقة من الحضور إذا أرادوا.. أما خلال أزمة القانون ٩٣ فقد كان معظم رؤساء التحرير الحكوميين ضد القانون.. يشجعون الصحفيين على الحضور (حضور الجمعية العمومية).

وعزائى أن قضيتنا أكبر من أن تكون قضية صحفية أو نقابية. إنها تمس مجمل التجربة الديمقراطية.. وتمس مصالح الوطن العليا.. لأنها تتعلق بحق الشعب فى محاسبة حكامه. وأنا لا أستعجل النتائج أو ردود الأفعال.. رغم أن ما جرى حتى الآن كان معقولا.. إن تمسكنا بموقفنا مهما طال السجن هو حجر الزاوية.. وهو أمر مهم جدا لمستقبل الحياة الديمقراطية فى بلادنا.

واصلت فى الأيام الأخيرة عملية تحقيق مزيد من الاستقرار.. فاشتريت أخيرا مقعدا مريحا.. وتقاولت مع ورشة النجارة على منضدة للكتابة والقراءة لأن المنضدة التى حصلت عليها كهدية.. منخفضة.. وهى مناسبة أكثر للأكل ولشرب الشاى after noon tea ثم حدث اليوم تطور بالغ الأهمية.. إذ تم تركيب مروحتين بالسقف.. بالإضافة للمروحتين السابقتين.. وهو الأمر الذى أحدث إنقلابا فى مناخ الغنبر، فأصبح رطبا بصورة رائعة.. كما أن المراوح الإضافية

ساهمت فى طرد الناموس.. والناموس هنا أكبر حجما من الذباب.. وهو شرس لا يعرف الرحمة ويخترق الملابس ويلدغ بحرية تامة.. وأنا المستفيد الأكبر من المروحتين الجديدتين.. لأن سريرى يقع فى منتصف العنبر بالضبط.. ولم يكن يصل لى تأثير المروحتين السابقتين لأنهما كانتا فى أقصى طرفى العنبر. وهكذا جاءت المروحتان الجديدتان فوقى مباشرة والشكر للحج سعد علوان الذى تبرع بهما رغم أنه من المتوقع أن يغادر المستشفى والسجن خلال أيام.

وقد رفضت من جانبى أى سعى للحصول على أجهزة ترفيهية كمروحة أو ثلاجة صغيرة.. فلابد أن أعتاد على أسوأ الظروف لأننى لا أضمن استمرارى فى هذا السجن الذى يعد أفضل وأريح سجن فى مصر.. ولا أضمن استمرار حسن المعاملة (اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم)، ولكن إذا جاءت هبة من الله فلا نملك إلا الحمد والشكر، والحقيقة فلقد تحول العنبر إلى جنة، وساعات القراءة الليلية ستكون أكثر إمتاعا.. بدون حرارة قاتلة.. وبدون ناموس فتاك.. وهذه الليلة كانت بداية المتعة، فلك الحمد والشكر يا رب على ما أنعمت.

واستلمت اليوم من إدارة السجن وجبة مهولة من الكتب هدية من د. محمد عباس الأديب الكبير.. وعلى رأسها نسخة كاملة من كتاب شخصية مصر لجمال حمدان.. وكان د. محمد عباس قد حضر بنفسه يوم السبت الماضى لزيارتى مع زوجتى وأخى مصطفى.. إلا أنه منع من الدخول فى إطار التشديد الجديد غير المفهوم.. والحقيقة لقد كنت فى شدة الشوق لرؤيته.. وأنا متعاطف معه إلى أقصى الحدود.. لأننى أعتقد أنه من أكثر الناس حزنا على سجنى، وكنت أريد أن استحثه على مواصلة الكتابة فى "الشعب".

ابنى هشام بدأ الامتحانات (أولى ثانوى) أرجو التوفيق.. وكـان قـد تعـرض لحادث أدى إلى ٥ غرز فى ذقنه.. وتقول زوجتى: إن شكله لم يتشوه، وحمدت الله على اللطف فى القضاء.. كما علمت أنه استغل أموال (عيـديات العيـد) فـى شراء جيتار.. وأدعو الله أن يتم الإفراج عنـى قبـل أن يشـكل "بنـد" للموسـيقى الهابطة المعاصرة!!

الحلقة السادسة

- تفتيش المصلحة.. والتفجير النووى الهندى حدثا فى يوم واحد!
- لابد من حملة شعبية مكثفة للإفراج عن محمود نور الدين زعيم "ثورة مصر" وإخوانه.
- لن تكتمل إذا الجمعية العمومية للصحفيين.. ولن أواصل السير فى مبادرة الأستاذ هيكل.
- إدارة السجن رفضت نقلى للحبس الانفرادى.. والسماء تحتج على شىء ما!
- تخاريف مسجون.. أو نظرات "فلسفية" فى أمور تافهة!

الأحد ١٩٩٨/٥/١٠ الساعة ٤ صباحا

مر أسبوع دون أن أكتب، والأحداث داخل السجن كثيرة فيما يتعلق بى.. كذلك الأفكار والخواطر التى تتوارد إلى ذهنى - من كثرة القراءة - كثيرة.. ولكننى أضن على وقت الدرس والقراءة بكتابة المذكرات.

ولا أريد أن ألخص ما جرى خلال الأسبوع.. بل هو غير ممكن إلا فى مساحة كبيرة، والغريب أننى الآن عقب رعود وبروق وأمطار لم نشاهدها فى الشتاء.. ولا أعتقد أن شهر مايو قد شهد مثل هذا منذ سنوات طويلة. والواقع أن تقلبات الطبيعة منذ دخلنا السجن بالغة الحدة والغرابة.. ولا أتذكر أننى عاصرت مثيلا لها.. فهل السماء تحتج على شىء ما؟! هذا ما يردده كثير من المساجين وأنا منهم.. وقد بدأت هذه التقلبات بعاصفتين رمليتين.. ثم تتابعت موجات الحر الشديد.. ثم البرد.. ثم الرياح.. ثم الأمطار الخفيفة.. ووصلت اليوم إلى الرعد والبرق والمطر!

أهم ما يتعلق بى فى الأسبوع الماضى أننى أواجه أحوالا من الشد والجذب.. والمد والجزر.. كما يحدث تماما لكل إنسان خارج السجن أو داخله.. فكلما تصورت أن الأمور استتبت فى الإقامة بالعنبر - حتى لقد وصفته بأنه جنة - إذا به يتحول من جديد إلى جهنم الحمراء.. فالناموس والذباب تكيف مع المراوح.. وعاد يهاجمنا بثقة وكثافة شديدتين!!.. وهذه أقل المشكلات.. أما مشكلتى الكبرى فهى الصخب.. وكل ما حققناه من تقدم ضد الصخب ينهار سريعا.. فالمشكلة ليست فى جهازى التليفزيون بقدر ما هى فى وضع عنبرنا.. الذى هو بمنزلة ميدان التحرير فى القاهرة.. ومن الصعب تنفيذ برنامج تثقيفى وأنت مقيم على دكة فى قلب ميدان التحرير!!

وقد طلبت من الإدارة نقلي إلى إحدى زنازين التأديب الانفرادية.. رغم أنها شديدة الضيق.. ورغم أنه لا يوجد بها دورة مياه.. ورغم أن الباب يغلق دون دورة المياه من الثامنة مساء حتى الثامنة صباحا.. ولكن في سبيل الخلوة كله يهون!! ولكن هذا الاقتراح يصطدم مع سياسة عزلي عن السياسيين.. والزنازين الانفرادية توجد في عنبر ٢ الخاص بالسياسيين.. ثم تمخض الحوار عن حل وسط.. وهو انتقالي إلى العنبر الثاني بالمستشفى.. الذي أشرت إليه من قبل.. لأنه أقل صخبا (عنبر المرضى).. ومن المفترض أن أنتقل اليوم إلى هذا العنبر.. وأتوقع أن تكون حياتي هناك أكثر يسرا.. وقد لجأت إلى هذا العنبر عدة أيام للقراءة.. واستمتعت بالهدوء الشديد.. بالإضافة لحسن الضيافة.. وفي مناخ مثل هذا ممكن أن أتعايش مع السجن لسنوات مديدة.. كما قررت أن أحاكي الآخرين في بناء "دروة" من القماش حول السرير تعطي حالة من الخصوصية.. فيمكن للمرء أن يتخفف من ملابسه بحرية أكبر.. ويمارس التمرينات الرياضية بلا خجل.. ويمكن أن يبكي في صمت دون أن يراه أحد! باختصار فإن دروة القماش تحقق جزءا مهما من مزايا الحبس الانفرادي.. ولكن دون أن تحجب الأصوات والصخب.. نصف العمى ولا العمى كله!

أرجو أن يساعدني هذا الانتقال في إنجاز أفضل لبرامجي الطموحة.. التي فشلت في تحقيقها كما أريد في العنبر الحالي.. فأنا أريد أن أقسم وقتي بشكل صارم على هيئة حوزة علمية.. أو الدراسة في الأزهر.. فأخصص ساعة للفقه.. ساعة لتفسير القرآن.. إلخ إلخ.. بالإضافة إلى ساعتين حول الإسرائيليات المعاصرة.. إلخ إلخ، والوضع في عنبرنا لا يسمح بأي برامج منظمة.. كما وصل

نزيل جديد.. وكل شخص إضافي - مع تقديرى لأى إنسان - يمثل حيزا إضافيا من الضوضاء وتضييع الوقت.. وكل يوم نحن مهددون بمزيد من الضيوف الجدد، وعنبر بحجم عنبرنا فى السجون الأخرى يضم سبعين شخصا!!

اليوم السبت.. كنا ننتظر الإفراج عن أحد الأصدقاء الجنائيين.. ولكنه لم يخرج لأسباب غير مفهومة. الأمر الذى أصابنا بالحزن.

أحد المحامين قال لجمال فهمى فى الزيارة إنه متفائل بقبول استشكاله وبإمكانية الإفراج عنه يوم الاثنين القادم.

أهم التطورات أننى توصلت إلى قناعة حازمة برفض الوساطة مع الألفى.. من خلال صيغة الأستاذ هيكل.. أى صيغة لجنة التحكيم.. فأنا لم أعد أثق فى كثير من الناس بالنسبة لهذا الموضوع.. حتى المتعاطفين معى.. لأنهم يريدون إخراجى من السجن بثمن باهظ.. واستقر لدى أننى لا يمكن أن أتحكم فى مجرى هذا الموضوع.. وبالتالى لابد من رفضه.. وفى المقابل أنا أرى للموضوع أهمية رمزية عظمى تستحق كل التضحيات.

منذ ساعات كنت أقرأ كتابا عن تاريخ الشيخ عمر مكرم.. وقرأت نماذج عن جهاد الشعب المصرى خلال القرن ١٩.. وكيف فرض العلماء والشعب على الحكام تثبيت مبدأ المساواة أمام القانون.. وأن يخسر الأمراء - عندما يخطئون - أمام الضعفاء فى ساحة القضاء.. والآن ونحن فى أواخر القرن الـ٢٠ ما زلنا عاجزين عن الارتفاع لهذا المستوى.. لا.. إن الموضوع يستحق الاستمرار فى السجن.. بل يستحق الاستشهاد.. إن مصر لا يمكن أن تنحط إلى هذا المستوى ونحن مكتوفى الأيدى.. ولقد دفعنى القدر إلى هذا الموقف ولابد أن

أواصل.. لا أجد شيئا أكثر أهمية يمكن أن أقوم به خارج السجن من هذه المهمة المقدسة التى أؤديها فى سجنى.

استقررت فى الرياضة على لعبة التنس.. لأنها أكثر الألعاب التى أجيدها.. كما أنها تتيح أكبر قدر من الجرى والحركة.. مستوى الأداء فى ارتفاع مستمر حتى أصبحت أتمنى اللعب فى ملعب حقيقى.. لا هذا الملعب المضحك منبعج التضاريس! ولكننى أحاول لعب الكرة الطائرة لأنها هى الطريقة الوحيدة لمقابلة محمود نور الدين زعيم "ثورة مصر".. فهو قائد الفريق، وأنا نقطة الضعف الرئيسية فيه.. ورغم لعبى معهم إلا أننا نفوز أحيانا!!

وعلى هامش مباريات الطائرة التى لا تمت بصلة لقواعد اللعبة خارج سجن طرة.. يتأتى لى تبادل لبعض الأحاديث الخاطفة مع محمود نور الدين الذى أمضى حتى الآن ١١ سنة سجنا.. ولا يزال متبقيا له ١٤ سنة.. يا بلاش! أما إخوانه نظمى وسامى وحمادة فلم يتبق لهم سوى ٤ سنوات بس!

الحقيقة أن الأمر يستأهل تجديد الحملة الشعبية للإفراج عن الرجل.. ولو فى نصف المدة.. والإفراج الفورى عن إخوانه الثلاثة.. رغم الصعوبة البالغة لذلك لأن أمريكا وإسرائيل تراقبان الموقف.

الجمعة ١٩٩٨/٥/١٥ الساعة ٣ صباحا

أكتب اليوم من عنبر المستشفى الآخر الذى انتقلت إليه.. وهو عنبر المرضى.. فهذا العنبر يضم المرضى بشكل حرفي.. وليس مجرد الضعفاء صحيا.

وقد حدثت بالفعل قفزة فى حياتى نحو الأفضل.. حيث حررت مزيدا من الوقت للقراءة والعبادة.. واستمتعت بقدر أكبر من الهدوء.. والشيء الأكثر إيلاما أننى انفصلت عن محمد هلال وجمال فهمى، ولكنه انفصال طفيف لأن العنبرين مفتوحان على بعضهما ولا تفصلهما سوى ردهة المستشفى. فمحمد وجمال لديهما قدرة أكبر على التفاعل مع المناخ الاجتماعى، بينما أنا أشد انطوائية.

ومع ذلك ورغم هذا التحسن.. إلا أن معاناتى لم تنقطع بطبيعة الحال.. وأصبحت أكثر حساسية تجاه الضوضاء.. ولم يعد بإمكانى التعامل بدبلوماسية مع أى خرق للقواعد العامة للنظام.. ودخلت فى هذا العنبر الجديد فى صدام لوقف الضوضاء بعد الساعة ١١ مساء.. وبدأنا محاولة لإيقاف الزميل الذى يتحدث طوال الليل مع نفسه وهو نائم بصوت عال.. ففى البداية كان الأمر طريفا.. أن تستمع له لمدة يوم أو يومين.. والرجل يتحدث كما لو أنه فى مسكنه بالأحاديث المعتادة على طريقة "ناولينى الفوطة يا سنية".. "ردوا على التليفون يا أولاد".. إلخ إلخ، وأنت إذا دخلت معه فى حوار يرد عليك وهو مستمر فى النوم.. ومن الأمور التى أثارت ضعفى تجاهه أنه يقرأ آيات كاملة من القرآن الكريم وهو نائم بقراءة صحيحة.

ولكن الموضوع كما ذكرت مسل لمدة يوم أو يومين.. ولكنه يتحول إلى مشكلة.. لأن الرجل صوته أجش، ويتحدث بأعلى صوت وكأنه يريد أن يوصل

صوته من هنا لمنزله بالفعل! وبدأنا نوقظه ونحاول إقناعه بأن يراعى راحة الناس.. والطريف أنه استجاب إلى حد كبير، وأصبح حديثه مع نفسه لا يزيد على دقائق معدودة.. وبدأت أتحملها دون مزيد من الضغوط عليه، وهو دليل على أن المرء يمكن أن يتحكم فى سلوكه أثناء النوم، وهذه ثانى تجربة فى هذا الصدد.. أما التجربة الأولى فقد كانت مدهشة بالفعل، فعندما علم مأمور السجن بشكوى من الشخير فى أحد العنابر، ونبه على الذين يشخرون.. استجابوا بالفعل وتوقفوا عن الشخير طوال الليل! ! ويبدو أننا سنأخذ "كورس" فى علم النفس.. خلال فترة السجن.

المهم أننى أكتب حاليا فى حالة من الهدوء الشديد.. فلا راديو ولا تليفزيون، والشخير صوته منخفض كنسائم الربيع! ! لا يقطع هدوئى إلا الصرير المزعج لباب العنبر عندما يفيق أحدهم ويذهب إلى دورة المياه، ورغم الظلام فإننى أصبحت أعرف الأشخاص الذين يتحركون من دبيب أقدامهم، وقد مررت بنفس التجربة فى العنبر الأول، وهذا درس آخر فى علم النفس.. فأنت تعلم الشخص المتحرك من طريقته فى المشى.. خاصة "تزحيف" الشبشب.. كما أن طريقة تزحيف الشبشب تكشف عن جانب من شخصية الإنسان، فالشخص الذى لا يبالى بمشاعر الآخرين يحدث عاصفة من أصوات تزحيف شبشبه من أول العنبر لآخره.. وهذا يحدث بدرجات مختلفة.. أما الإنسان الحساس الذى يشعر بالآخرين فتسمع أصواتا خفيفة لأقدامه وشبشبه "دون تزحيف".

وهناك من يحدث أصواتا من فمه أثناء الحركة.. فى صورة فحيح أو همهمة أو تمتمة، وهذا آخر شىء كنت أتوقعه: وهو تقييم أحد جوانب الشخصية من خلال المشى بالشبشب والأصوات التى يحدثها خلال المشى.

وفيما عدا شخصين.. واحد فى العنبر السابق.. وواحد فى العنـبر الحـالى.. فالتزحيف بالشبشب يرتبط بالفعل.. بنقص الإحساس بالآخرين أو عـدم مراعـاة شعورهم (مع استبعاد الحالات المرضية الشديدة وكبر السن).

قد يكون من المضحك أن أكتب في مثل هـذه الأمـور.. ولكنـه نمـوذج علـى انكماش العالم فى السجن.. بحيث تضطر إلى الاهتمـام والتأمـل "الفلسـفى" فـى أسلوب المشى بالشبشب.. وما أشبه!

وقد ذكرنى هذا بمقال كتبته بعنـوان "جـردل البـول".. أشـرت فيـه إلى أن الحكومة تدفع بالمعارضـة والشـعب للانشـغال بسفاسـف الأمـور.. وبالـدفاع عـن النفس بدلا من الطموح للتطور، وشبهت ذلك بإشغال السـجين بمسـألة "جـردل البول".. بمعنى انشغاله بتوفير هذا الجـردل داخـل الزنزانـة حتـى يـتمكن مـن التبول ليلا أثناء الإغلاق التام بعيدا عن دورة المياه.

المهـم.. لقد تبين لى أننى بانتقالى إلى العنبر الجديد لم أقم إلا بحـل ترقيعـى لأننى لا يمكن أن أتجاهل أكثر من ٢٠ نزيلا فى العنـبرين، ولا يمكـن أن أقـوم بدور "الألفة" الذى ينظم الحياة ويمنع الضوضاء على مدار النهار والليل.. ولذلك سأواصل مطالبتى بالانتقال إلى الانفرادى.. أرجو أن يوفقنى الله فى ذلك إن كان خيرا لى.

اليوم "الخميس" لم يكن يوما عاديا.. بل كان يـوم تفتـيش المصـلحة.. ومـا أدراك ما تفتيش المصلحة (أى مصلحة السجون).. فمن تقاليد السـجون أن تقـوم المصلحة بحملة تفتيشية وتأديبية على السجون مرة أو مرتين فى العـام.. حيـث ترتكـب التجـاوزات.. ورغـم أننـا لم نتعـرض لشـىء فـى المستشـفى (إلا بعـض

المصادرات المحتملة) إلا أن ما حدث فى السجن كان محزنا بكل المقاييس.. وتحت عنوان مصادرة الممنوعات صادروا كل شيء.. وتركوا كثير من المساجين على البلاط.. صادروا الملاءات والمراتب والبطاطين.. رغم أن السجن لم يسلم أى شيء.. صادروا الأكل!! صادروا الحلل والأطباق والساعات والسجائر.. وضربوا بعض المساجين.. وحلقوا الرؤوس.. ولا اعتراض لى على حلق الرؤوس.. ولكنه يتم بصورة مهينة.

السجن لا يعطى للمسجون رسميا أى أدوات أو ملابس.. أو أكل آدمى مطبوخ.. ثم تأتى مصلحة السجون لمصادرة كل أمتعة المساجين الجنائيين وأكلهم.. وهى دورة عبثية مستمرة لا تحقق أى نفع إلا إنزال خسائر مالية بالمستضعفين الذين يتعين عليهم تعويض ما تمت مصادرته.. فخلال أيام سيشترى المساجين بديلا لكل ما فقدوه حتى تأتى حملة جديدة بعد ٦ شهور تقريبا لإعادة الكرة.

فمتى يتوقف هذا العبث الذى يعمق كراهية المسجون لمجتمعه.. وبعد ذلك يقولون إن السجن تهذيب وتأديب وإصلاح.

وخارج هذا الوطن الجديد (سجن مزرعة طرة) بدأت الأحداث الإقليمية والعالمية تتحرك من جديد بما هو مثير، وفى تقديرى فإن تفجيرات الهند النووية حدث عالمى مدو بكل المقاييس.. ويأتى مصداقا لتحليلاتنا السابقة حول التعددية العالمية النامية.. وكانت "الشعب" هى الصحيفة الوحيدة التى اهتمت واحتفلت برفض الهند التوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.. وأرى أن التنافس النووى الهندى الباكستانى سيعود فى النهاية بالنفع على

العالم نحو مزيد من التوازن، فى حين أن الطرفين لن يستخدما هذا السلاح الرهيب ضد بعضهما البعض.

والآن تصرخ أمريكا وترغى وتزبد.. ولكن لتضرب رأسها فى الحائط. فما الذى بإمكانها أن تفعله لوقف نمو هذا العملاق الجديد.. ولطالما أشرنا إلى هذا الدرس الباكستاني - الهندى لحكامنا فى مصر، ولكن الاستجابة بطيئة ومتأخرة دائما.

واليوم اشتعلت الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية المحتلة واستشهد ٨ فلسطينيين.. فى مظاهرة بمناسبة ٥٠ عاما على تأسيس إسرائيل.. كما احتلت هذه المناسبة مكانا لائقا فى الإعلام الرسمى المصرى.. وهذه من العلامات الجيدة.

وأعود مرة أخرى لأحوالى الشخصية.. فزوجتى لم تزرنى منذ أسبوعين.. وأعتقد أن هذا لم يحدث من قبل.. ويبدو أنها تواجه مشكلة فى الحصول على تصريح.. ولا أدرى ما علاقة ذلك بالمقال الذى كتبته تهاجم فيه الداخلية فى عهد الألفى.. وتهاجم الظروف الحالية التى تعوق يسر وانتظام زيارتها لى. كما أننى لم أتلق أى زيارة منذ أكثر من أسبوع من أى طرف.

ولا أعتقد أن هذه مصادفة.. لأننى أعلم أن طلبات الزيارة كثيرة.. وأخشى أن تكون محاولة لعزلى عن الخارج.. فى وقت يدبرون فيه حكاية لجنة التوفيق والوساطة مع الألفى.. ولكننى تمكنت من خلال زيارة خطيبة محمد هلال من إرسال رسالة شفوية رافضة لحكاية هذه اللجنة وتطوراتها، وأننى لا استبشر بها أى خير.. ورغم هذه العزلة المريبة إلا أننى استرحت منذ يومين لفكرة بسيطة..

وهى أننى سأرفض أىَ شىء ينتقص مـن كرامتـى وكرامـة ومصـداقية الجريـدة، مهما كان الثمن.. وقد تزامن هذا مع التوكل على الله فى تحمل مزيد من أحكام السجن.. وأنا لا أعتقد أن الجمعية العمومية لنقابـة الصـحفيين سـتكتمل غـدا.. وأرجو أن يخيب الله ظنى، ولكننى أعلم شيئا واحدا.. أننى سأعتمد على الله.. وعلى ساعدى وحدى لو تطلب الأمر ذلك: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّـهُ مَـن يَنصُـرُهُ إِنَّ اللَّـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

استعد الآن لصلاة الفجر.. اللهم إنا نسألك إيمانا دائما وقلبا خاشعا ويقينـا صادقا وعلما نافعا.. ونعوذ بك من قلب لا يخشع.. وعين لا تدمع.

الحلقة السابعة

- إبراهيم شكرى.. وجرعة كبيرة من شد الأزر والمحبة.
- سعدت باتفاق الأستاذ هيكل معى فى عدم واقعية لجنة التحكيم.
- جولة جديدة فى أدب نجيب محفوظ بين الإعجاب والمعاناة!
- أخيرا حصلت على مسكن خصوصى.. ولكن الكآبة تحاصرنى بين وقت وآخر.
- أهم الأحداث: سقوط سوهارتو.. وحبس عمرو ناصف!

السبت ١٩٩٨/٥/١٦ الساعة ١١ مساء

ها آنذا أكتب لأول مرة في هذا الوقت المبكر، فقد انقلب كيانى اليوم، على طريقة رضينا بالهم والهم مش راضى بينا.

فالأنباء تترى إلىّ من مصادر متعددة.. ومن بينها الصحف المختلفة.. عن أخبار لجنة الوساطة.. وهو الأمر الذى أشعرنى بالعجز لأننى مكتوف الأيدى ولا أستطيع الاتصال بأحد لوقف هذه الفكرة الخطيرة.. والآن أشعر وكأننى فى جهنم الحمراء ذاتها.

وما زلت أحاول إرسال الرسائل التى تتمحور حول رفضى الشامل والكامل لهذه اللجنة البائسة التى قيل أنها ستتشكل لفض النزاع بين "الشعب" و"الألفى"، وهى فكرة سخيفة لأنها قائمة على أساس أنه صدر حكم إدانة ضدى وضد هلال.. وبالتالى فإن المرشح للتنازل هو نحن، كما أننا لا يمكن أن نتحكم فى تشكيل هذه اللجنة بحيث تكون متوازنة.. وكل هذا يضلل الرأى العام.. ويبعده عن الحقيقة البسيطة العارية.. (أنه قد صدر حكم بحبسى أنا ومحمد هلال.. وعلينا أن نمضى العقوبة وكفى!).

وإذا كان المجتمع السياسى غير موافق على ذلك فليكثف نضاله من أجل تعديل تشريعى يسقط عقوبة حبس الصحفيين.. وفيما عدا ذلك فهو لغو فارغ، يضلل الرأى العام بأن ثمة انفراج للأزمة قادم.. وهو لن يحدث إلا على حساب كرامتنا ومصداقيتنا.

أما على المستوى الشخصى فإن استمرار هذه المحاولات أشبه بالعبث بالخلوة التى أحيا فيها.. وهو اعتداء على هذه الخلوة، والدليل أن هذه الأنباء أفسدت علىّ صفائى وعباداتى.. وتركتنى حزينا مكلوما شاردا.

إن استمرار هذه المحاولات من التوفيق والتحكيم والوساطة أشبه بالعبث والاعتداء على حرمة رفاتى فى قبرى المؤقت هذا.

ورغم أن خلاصة الأنباء أن مشروع هذه اللجنة التعيسة قد تعثر بسبب اقتراحات الألفى لتعديل تشكيلها ورفض الحزب لهذا التشكيل الجديد.. إلا أن المحاولات لم تنقطع بعد لإحياء الفكرة، إلا أننى أكدت فى رسائلى حقى فى الإطلاع على التشكيل النهائى لهذه اللجنة المتعوسة قبل إقرار موافقتى عليها.. وأنا واثق أن أى تشكيل سيصلون إليه لن أوافق عليه!!

باختصار.. اليوم - بلا منازع - هو أسوأ أيامى فى السجن منذ دخلت إليه.

كذلك وكما توقعت فشلت أمس الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين فى الانعقاد.. وبالتالى فأنا لم أظلم النقابة عندما توقعت ذلك.

وتقدمت اليوم بطلب رسمى مكتوب لنقلى إلى زنزانة انفرادية، وفى انتظار موافقة الجهات العليا لوزارة الداخلية.

إذا تحقق هذا فستكون فرصتى الذهبية لتحقيق خلوة أحلم بها منذ سنوات طويلة.. حتى أننى عجزت عن الاعتكاف الكامل فى العشرة الأواخر من رمضان.

وحتى عندما أديت فريضة الحج والعمرة فقد كانت قصيرة ولم تصل فى كل مرة إلى عشرة أيام. وإذا لم أتمتع بهذه الخلوة الروحية فى السجن فلا ألومن إلا نفسى.. فلن أجد وسيلة لذلك إذا خرجت يوما من السجن.. لأننى تعاهدت مع الله ألا أنقطع عن العمل السياسى الجهادى حتى الرمق الأخير من العمر.. وهو ما يعنى الصعوبة البالغة فى الحصول على مساحة زمنية كافية لخلوة

روحية تكون بمنزلة حمام البخار لتطهير النفس والتقرب إلى الله إلى أقصى حد ممكن.

ومن عوامل كآبتي اليوم وأمس.. أنني افتقدت الكتاب الحلو.. فهناك كتب تقرأها للدرس والاستفادة والعلم.. وهناك كتب تستمتع بها.. ولم يعد لدى كتب من النوع الثاني الممتع.. حتى قصة نجيب محفوظ التى أقرأها الآن (الحرافيش) لم أستسغها.. وإن كنت استمتع بجزئيات فيها.. ولكن تركيبتها الشاملة الرمزية لا تعجبنى - رغم أنها تشي بقدرات محفوظ الفذة فى البناء وروعة الأداء ورسم اللوحات - لأن إطارها العام خارج الحياة الواقعية.. وداخل الإطار هناك بعض الأمور الواقعية، وكما ذكرت من قبل فأنا كمتذوق للأدب لا أميل إلى الإفراط فى الرمزية بدون داع.. كما نبهتني "الحرافيش" إلى أن معاناة نجيب محفوظ في قضية الإيمان بالله لم تقتصر على "أولاد حارتنا".. بل امتدت لـ "دنيا الله".. خاصة قصة الزعبلاوى.. وأيضا فى "القاهرة الجديدة".. وهناك شيء من هذه المعاناة في "الحرافيش".. وأقول المعاناة.. إنصافا لنجيب محفوظ.. ولكن معاناته استطالت وشكه استطال.. بل يكاد أن يكون خطا محوريا فى أدبه.. حقا هو يعرض الدين بإنصاف ودون ابتذال كما فى "القاهرة الجديدة".. ولكنه لم ير فيه الحل.. وهو يرى الدين حقيقة واقعية حتى ولو كانت من اختراع البشر.. ولكن باعتبارها إحدى الحقائق والخيارات...وهو فى مرحلة تاريخية انحاز إلى الحل الماركسى كبديل.. ولكن الغالب على أدبه هو الحيرة.. وعدم تقديم نموذج أخلاقى وحضارى بديل متماسك للدين وللإيمان بالله.. هذه خواطر سريعة.. ولعلى بعد استكمال قراءة قصص نجيب محفوظ المتوافرة لدىّ.. والتى لم أقرأها من قبل.. يمكن أن أكتب دراسة مصغرة بعنوان (قراءة فى أدب نجيب محفوظ).

الأربعاء ١٩٩٨/٥/٢٠ الساعة ٣,٣٠ صباحا

ها آنذا أعود إلى كتابة المذكرات فى الموعد المعتاد.. أى قبيل الفجر.. وليس هذا دليلا على عودتى إلى الاستقرار النفسى فحسب.. بل هو دليل على الانقلاب الشامل الذى حدث فى حياتى فى السجن.

وحقا: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

لقد سعيت بنفسى إلى الخلوة الفردية.. فى زنزانة انفرادية حقيرة شروطها بائسة.. وبدون دورة مياه ١٢ ساعة على الأقل.. وبالغة الحرارة.. نزاعة للشوى.. وبدون مروحة حتى إشعار آخر.. وبدون تليفزيون.. إلخ إلخ.. ولكن الله يأبى أن يعذبنى.. فحدث أمر وسط يحقق ٨٠-٩٠٪ من مطالبى بدون الوحدة الشديدة والظروف المادية القاسية.

واضح أن الدوائر الأعلى بالداخلية رفضت أن أنتقل إلى الزنزانة الحقيرة.. باعتبار أن هذا لا يليق بوضعى.. ونصحت إدارة السجن بتحسين أحوالى داخل المستشفى.. وهذا موقف لابد من تسجيله بالشكر.. وإن كان لم يبلغ لى صراحة.

وفى نفس الوقت حدثت مشكلات حادة ذات طابع شخصى فى عنبرى الأصلى (عنبر الضعفاء).. وحدثت تنقلات بين العنبرين وعدت إلى عنبر الضعفاء فى ركن قصى، حيث قمت فورا بوضع ستارة من حولى، على طريقة منكوبى الزلزال! وتمت تصفية وضع المقهى.. بمعنى أن يكف عنبر الضعفاء عن أن يكون مقهى إيزافيتش أو أسترا بميدان التحرير سابقا.

باختصار شديد لقد استتب الأمن فى عنبر الضعفاء.. وأصبح من أهدأ عنابر

السجن.. وأضفت عليّ الستارة عزلة إضافية.. وأصبحت أشبه ما أكون في زنزانة انفرادى.. ولكن داخل العنبر مع محمد هلال وجمال فهمي.. وهكذا نكون قد أرضينا جميع الأطراف.. فلا شك أن هلال وجمال لم يكونا سعيدين بانتقالى بعيدا عنهما.. ولا أنا بطبيعة الحال.. ولكن للضرورة أحكام.

ولأول مرة منذ ٣ شهور أشعر بأن لى مسكنا خاصا.. مجهزا بالمنضدة الجديدة و٤ رفوف لوضع الكتب والحاجيات.. ومصباح للسرير.. مصنعين من علب المياه الغازية الصفيح.. وأشعر أننى أعيش في فيلا.. ولى شباكى الخاص المطل على الفناء الخلفي للسجن.. وهو ملىء بالقاذورات!! وأرى منه سور السجن.. وخزانى المياه.. حيث ينتابنى شعور عجيب.. فخلف هذا السور يوجد سجن الملحق.. حيث عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح وأقرانهما.. ولكنى عاجز عن رؤيتهم.

وسعادتى بهذه الفيلا لا يمكن تخيلها.. وأنا لا أخرج منها إلا مضطرا.. وللضرورة القصوى.. فأخيرا ظفرت بخصوصيتى.. وحبى للعزلة وللانفراد عن العالم.. بالإضافة للفوائد العملية المترتبة عليها فى المجال التثقيفي والروحي.. إلخ إلخ.

وأنا من فرط سعادتى لم أنظم حياتى بعد بصورة كاملة في هذا المسكن الجديد.. ولكن بدأت أعطي الجهد الأكبر لمشروع الكتاب المزعوم عن إسرائيل.. وهو مزعوم لأننى لم أؤلف كتابا من قبل وأنا فى هذا الوضع المقيد.. فأنا معتاد أن أتناقش مع المختصين في أى تخصص أكتب فيه.. ومعتاد أن أرتاد المكتبات، وأقلب المجلات والصحف عند الأكشاك.. إلخ إلخ، أما هنا فأنا

محصور فيما يصل إلىّ.. وقد وصلتنى أول دفعة من ترجمات الصحف الإسرائيلية.. والتى ستمدنى بجوهر المادة الأساسية التى أريد تحليلها.. فأنا لا أريد إجراء بحث عن جذور الصهيونية.. ولكن عن مشكلات إسرائيل المعاصرة.. وقد انتهيت من معظم هذه المقالات المترجمة.. وسأعانى من جديد من الفراغ حتى تصلنى دفعة جديدة، وما زلت أعانى من قراءة "الحرافيش" ما بين الاستمتاع بالبناء الأدبى.. والغيظ من الفكرة العامة، حقا لقد استطال الشك الإيمانى عند نجيب محفوظ.. فـ"الحرافيش" صادرة فى عام ١٩٧٧، بينما "دنيا الله" فى ١٩٦٢، و"حكايات حارتنا" فى الستينيات، مع ملاحظة أن "دنيا الله" تضم مجموعة من أروع القصص القصيرة.

وطبعا الرمزية فى كل هذه الأعمال ضرورية فنيا.. وأيضا للمعاونة فى التوغل فى المحرمات.

زارنا اليوم أخى طلعت رميح الذى ورث التركة الثقيلة لـ"الشعب"، وأحسب أنه يتمنى أن يتبادل المواقع معى.. وأنا لا أتمنى هذا التبادل.. فأنا الكاسب الأكبر فى الوضع الراهن.. فصحيفتنا فقيرة.. ونقص الموارد المالية أكبر كارثة فى العمل الصحفى لأن التطوير الصحفى يرتبط بالإنفاق.. وفى شتى المجالات.

وكان معه مجدى مهنا عضو مجلس نقابة الصحفيين نائبا عن مكرم محمد أحمد النقيب، وعرض علىّ تشكيل لجنة التحكيم مع الألفى.. ورفضته.. وطلبت منه التوقف عن فكرة اللجنة.. وأتضح لى أن الأستاذ حسنين هيكل صاحب الفكرة يرى نفس ما أرى.. وأن هذا الاقتراح لم يعد واقعيا.. فالحمد لله

رب العالمين، فلم أكن مغاليا.. ولا متحمسا بصورة مبالغ فيها، فالأستاذ هيكل رجل موضوعى ويزن الأمور بدقة.. ولا يمكن أن يتهم بالتطرف مثلى! وها نحن متفقان على البعد.

لنواصل إذن مشروعات العمل والاستقرار داخل السجن.. وأدعو الله أن يحفظ لى مسكنى الجديد.. والهدوء من حولى.

(فأنزلن سكينة علينا.. وثبت الأقدام إن لاقينا).

السبت ٢٣/٥/١٩٩٨ الساعة ١,٣٠ صباحا

السجين فيما يبدو كالطفل.. مزاجه متقلب بصورة سريعة.. وتفصل بين بكائه وضحكه دقائق أو ثوان معدودة.. وعندما لا يكون قد تعلم الكلام فإننا لا نعرف سبب بكائه.. وأحيانا لا نعرف سبب ضحكه.

والسجين كالطفل الذى لم يتعلم الكلام.. نجد صعوبة فى معرفة أسباب حزنه وسعادته.. وفى حالتى لا توجد أم ترعانى، وبالتالى أعانى فى اكتشاف سبب حزنى أو سعادتى.. بين لحظة وأخرى.. فاليوم كان يوما لطيفا.. ومع ذلك فأنا مكتئب الآن.. رغم أننى أعيش فى فيلتى الجديدة سعيدا قرير العين.. خلف ستارة واهية توهمنى بالخصوصية.. ولا أعرف سبب اكتئابى.. هل لأننى هزمت فى مباراة التنس بفارق نقطة واحدة؟! ولكننى أهزم كل يوم دون حزن أو زعل! ! هل بسبب الآلام التى عاودت عيونى رغم مواظبتى على العلاج؟! هل بسبب عجزى عن النوم بعد الرياضة؟! وهو عندما يحدث يشعرنى بآلام جسد لم يتعود على هذه المواظبة فى اللعب.. وهو ما يفسد علىّ التركيز فى القراءة؟ على أى حال.. فبمجرد إمساكى بالقلم وكتابة المذكرات أشعر بتحسن فورى.. فالمذكرات تحولت إلى صديقى الشخصى الذى أبثه لواعج نفسى وخواطرى.. فأهدأ.. والتنفيس هو من أهم عوامل التوازن النفسى.

اليوم (الجمعة) هو ثانى يوم جمعة أطبق فيه برنامجى غير المعلن.. فأجعل يوم الجمعة يوما حرا.. كأجازة.. أتخفف من برامج القراءة الكثيفة.. حتى لا أنعزل كلية عن الناس، فلم أقرأ إلا قليلا من الصحف.. وأنهيت قصة "حضرة المحترم" لنجيب محفوظ. ولعل هذه القصة من أسباب كآبتى المسائية، فهى

قصة كئيبة، وهى أيضا فيها براعة محفوظ المعتادة.. وفيها فكرته الأساسية التى تسخر من الحياة، وتتشكك في مراميها.. وهو يشعرنى كل مرة بأننى أقرأ نفس القصة (أو بالأحرى نفس الفكرة) ولكن فى سيناريو مختلف، فهذه القصة تروى قصة الفشل الإنسانى.. وهى محبطة أيما إحباط.. ورغم أنها تبدو واقعية إلا أنها لا تخلو من شطط الرمزية.. فما أكثر أبطاله الذين يتزوجون مومسات.. فعل هذه واقعية أم رمزية؟! لو كانت واقعية لكان معنى ذلك أن ثلاثة أرباع نساء مصر مومسات!!

ويبقى فى النهاية أن التوغل فى عالم نجيب محفوظ ممتع.. ومن الإضافات المهمة لى فى هذه العزلة.. وقد كان عيبا كبيرا منى أننى لم أقرأ كل إنتاجه.

المهم.. لقد ذكرت ذلك فى ثنايا الإشارة إلى اعتزالى الدراسة يوم الجمعة.. أما باقى أيام الأسبوع فقد احترت فى تنظيمها.. وعلى خلاف ما هو متصور فالوقت ضيق جدا، والرغبة فى استثماره عريضة ومتنوعة.. وبالتالى فإن اليوم قاصر عن تحقيق كل أهدافي.. كذلك من الصعوبة التحكم فى ساعات ومواعيد النوم، ولذلك رأيت أن أقسم أيام الأسبوع الستة بصورة مختلفة، أى بالأيام لا بالساعات، فأجعل نصف الأسبوع للدراسات السياسية والاقتصادية، والنصف الآخر للقرآن والإسلاميات المباشرة.. فقد رأيت أن استنفاد وقت السجن الثمين فى دراسة إسرائيل وحدها خطأ فادح، ولابد من استغلال الفرصة فى حفظ القرآن والتعمق فى العلوم الشرعية.. وسأبدأ من الغد إن شاء الله وفقا لهذا التصور.

الأحداث فى الخارج تتوالى بصورة مثيرة.. وأهم حدث هو السقوط المدوى لسوهارتو الديكتاتور الفاسد الذى حكم إندونيسيا ٣٢ عاما.. رغم الإنجازات الاقتصادية المهمة التى حدثت فى عهده.. وما زالت الأحداث تتفاعل والحركة الجماهيرية لا تريد أن تسلم بمجرد تغيير الفرد وأسرته الحاكمة، وتريد تغيير النظام.. وسنتابع ونرى.

هل سيكون لما حدث فى إندونيسيا.. على بعدها.. صدى فى مصر؟ آخر عمل قام به سوهارتو هو زيارة مصر.. وليس فى ذلك إلا أهمية رمزية.. هل سيدرك النظام فى مصر عن طريق وخز الإبر الإندونيسية أن الله حق؟! وأنه لا يمكن "الاستهبال" إلى آخر المدى فى موضوع الإصلاح السياسى.

ولا يمكن تجاهل استشراء الفساد دون معقب أو معالجة؟! هل سيتذكر حكامنا أن إنجازات النظام الإندونيسى فى المجال الاقتصادى أكبر بكثير مما حدث فى مصر.. ومع ذلك فإن هذا لم يشفع لسوهارتو؟! هل سيتذكر حكامنا المخاطر الهائلة لتجاهل قضايا الظلم الاجتماعى المستشرى فى الريف والمدينة؟! أنا أتوقع أن يكون للحدث الإندونيسى تأثير ولو طفيف.. ولو مؤقتا حتى بنظرية الانعكاس الشرطى.. فلابد أن يشعر حكامنا بدرجة من القلق والاضطراب.. وأن يراجعوا أنفسهم فى بعض تصرفاتهم الاستبدادية.

كثيرا ما دخلت فى مناقشات مع مثقفين ومواطنين حول احتمالات الثورة فى مصر.. والأغلبية الساحقة يائسة من هذا الاحتمال.. وهو بالنسبة لى احتمال يقينى.. فإذا لم تحدث معجزة ويطور النظام المصرى نفسه من الداخل وبصورة جذرية، فإن الثورة آتية لا ريب فيها.. وهذه ثقتى فى الشعب المصرى.. وثقتى

فى نواميس الاجتماع التى سنها الله.. ولذلك لم يعجبنى أن جريدة "الشعب" لم تحتفل بالحدث الإندونيسى كما لم تحتفل بالحدث النووى الهندى (وهذا موضوع آخر)، فحتى لو كانت هذه التفجيرات تهدد دولة إسلامية "باكستان"، إلا أن النتيجة النهائية ستكون لمصلحة مزيد من التوازن الدولى.. ولمصلحة العرب والمسلمين.

إن تنامى القوة النووية فى الهند وباكستان لمصلحة العالم.. والعرب والمسلمين.. لأنه يكسر الاحتكار النووى الذى حاولت أمريكا فرضه من خلال المعاهدة النووية.. وقد كتبت فى حينها أن هذه المعاهدة أقيمت على قوة الأمر الواقع.. وأنه سيتم انتهاكها بالقوة، وهذا ما يحدث الآن بوضوح بالغ.. والمهم أنه علينا أن نتساءل: أين العرب من هذا السبيل الحتمى والضرورى لإعادة التوازن مع العدو الإسرائيلى؟! ولماذا لا يتعاونون مع الهند وباكستان أو كلتيهما للانطلاق فى هذا المجال؟

ومن التطورات الداخلية التى تعكس اختلال التوازن فى رأس النظام صدور حكم بحبس صحفى رابع هو عمرو ناصف لمدة ٣ شهور.. بتهمة سب الأستاذ المبجل ثروت أباظة.. فبعد كل الحملات الإعلامية التى وصلت إلى التليفزيون ضد حبس الصحفيين.. ها هم الصحفيون ينكل بهم، والموضوع تحول إلى مسخرة حقيقية، فقد تم العصف بالفعل بحرية الصحافة فى المدى القريب، ولكن أعتقد أن النظام سيدفع ثمنا لذلك.. وسيكون هو الطرف الأكثر خسارة.. فحرية الصحافة لم تكن يوما حقيقية.. وجزءا يتكامل بصورة حية مع نظام ديمقراطى.. ولكنها كانت أداة للتنفيس.. والمظهر الأخير الباقى لما يسمى ديمقراطية فى

مصر.. وتكميم حرية الصحافة يفتح الباب واسعا للضجر واليأس، ويعجل بالانفجار الذى لا أعلم متى سيأتى بطبيعة الحال.

لقد افتقد النظام حساسيته إزاء أحد الثوابت التى حرص عليها.. وأمنت له قدرا كبيرا من استقراره.. أعنى حرية الصحافة.. وإذا لم يتدارك ذلك سريعا فلن يعد بإمكانه أن يتحدث عن أى نوع من الديمقراطية فى مصر.

حقا لقد حدث تراجع فى قرار منع طباعة الصحف فى المناطق الحرة، ولكن لا شك أن استمرار حبس الصحفيين مع إغلاق الدستور.. وما جرى لروز اليوسف هو الجانب الأكثر أهمية.

لقد وصلتنى عبر وسطاء كلمات طيبة على لسان بعض المسئولين فى حقى، ولو كنت حرا لسعدت بها.. ولكننى فى الواقع مكبل ومقيد الأغلال.. فتشككت فى صحة هذه الروايات.

أمس الأول (الخميس) كان يوما سعيدا، وتلقينا جرعة كبيرة من شد الأزر والمحبة، حيث زارنا المجاهد إبراهيم شكرى، والأستاذان فايز محمد على ومحفوظ عزام، والأخ العزيز عصام عبد المطلب المحامى.. وعلمت أن الأستاذ إبراهيم شكرى سيسافر إلى الأردن، ثم إلى بغداد.. متعه الله بالصحة.

وعندما جاءت سيرة الأردن تذكرنا صديقنا ليث شبيلات الذى عفا عنه الملك حسين للمرة الثالثة.. وعقدنا مقارنة بين هذا التصرف للنظام الأردنى.. وعجز النظام المصرى عن اتخاذ قرارات ذكية تضفى الارتياح على الشارع السياسى دون أى خسارة حقيقية للنظام.. بل على العكس تحقق له مكسبا.

أكتفى الآن بهذا القدر، وأدعو الله فى جوف الليل (أنى مغلوب فانتصر).

الحلقة الثامنة

- خواطر أثناء أول إضراب عن الطعام أقوم به فى حياتى.
- ثقتى بمحكمة النقض عالية جدا.. والإفراج قد يكون فى ٢ يوليو بدلا من ٦ أكتوبر.
- باكستان ترفع رأس العالم الإسلامى.. وتقتحم عالم المحرمات النووية.
- لا توجد أمة واحدة فى العالم تحتفل بذكرى الاحتلال الأجنبى إلا مصر!
- الصراع الإريترى - الإثيوبى هبة من السماء لمصر والسودان.
- أهم الإنجازات: شاركت فى إنقاذ "رضا" من موت محقق.

الأحد ١٩٩٨/٥/٣١ الساعة الواحدة صباحا

منذ فترة انقطعت عن كتابة المذكرات.. وانشغلت بهموم الحياة والدرس والقراءة.. والتكيف على "مسكنى" الجديد.. وخلال الأيام السابقة حدثت أحداث مهمة وجليلة داخل السجن وخارجه.. على مدار الكرة الأرضية بأسرها.

والأحداث التى تجرى فى الوطن (سجن مزرعة طرة) هى الأهم من الناحية الذاتية.. لأنها تتعلق بالمصير المباشر لكاتب هذه السطور.. ووفقا لمسار هذه الأحداث يتحدد مصير علاقتى بالعالم الخارجى.. مصر.. الوطن العربى.. العالم الإسلامى.. العالم بأسره.. حقا إننى أمارس فاعليتى الشخصية من خلال الصمت الرهيب الغاضب، كما أسماه د. سعيد سلامة فى جريدة "الشعب" محتجا علىّ.. وأنا أرى فى هذا الصمت الفاعلية الأساسية أو الوحيدة التى أملكها.. وهو أشبه بالإضراب عن الطعام.. أو الاعتصام فى مكان معين حتى الموت.. عسى أن يحرك هذا الموقف شيئا إيجابيا ما.. يوما ما.. فى هذا المجتمع الراكد.. وعسى أن يتقبل الله هذه المجاهدة للنفس وللظلم.. فينعم علىّ وعلى أمتى.. حقا إذا نجوت برضا الله فهذا يكفينى وزيادة: (إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى)، ولكننى فى الأصل أتعبد إلى الله بمحاولة إصلاح شئون أمتى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

ولا شك أنه يمكننى أن أكون أكثر تأثيرا فى المحيط الخارجى، ولكننى كما ذكرت من قبل مطمئن وموافق على الاتجاه العام لممارسة حزب العمل وجريدة "الشعب"، ولا أرى شيئا يدعو إلى الانزعاج بصورة تتطلب أن أدلى

بدلوى، وبالتالى فهى فرصة ممتازة للبيات الشتوى (هو فى الحقيقة صيفى!!)، وللاعتكاف الذى بحثت عنه سنين بلا جدوى.

فى الأيام الماضية وصل رفيقنا الرابع "عمرو ناصف"، فكان إضافة لبناء مجتمع سياسى وصحفى متكامل من أربعة أشخاص.. واتفقنا على تنظيم ندوات أسبوعية.. وبدأنا الجمعة الماضية أول ندوة، وكانت حول الرواية الرائعة لزميلنا محمد هلال (أرض المراغة)، وقد أعربت فى الندوة عن إعجابى الشديد بالرواية التى لم اقرأها إلا فى السجن.. باعتبارها من الأدب رفيع المستوى.. رغم بعض الخلافات الفلسفية مع الكاتب تتمحور بالأساس حول مفهوم القضاء والقدر.. وهى بالفعل رواية تنبىء بمولد أديب كبير شريطة أن يثابر على نفسه.

ومن أهم الأحداث تحديد موعد لنظر قضيتنا فى محكمة النقض يوم ٢ يوليو القادم.. أى بعد قرابة شهر من الآن.

وهكذا أصبحت المحطة التى نعد لها الأيام ٢ يوليو بدلا من ٦ أكتوبر.. وهذا يكفى من الناحية النفسية لكسر حدة الإحساس ببطء تحرك الزمن، حتى ولو كانت محطة وهمية (عندما يرفض النقض لا قدر الله)، فحتى إذا رفض النقض سنقول ساعتها لم يبق سوى ثلاثة شهور!!.

وطبعا ثقتى بمحكمة النقض عالية جدا.. ولكن المشكلة أن قضيتنا ليست فقط قضية رأى عام.. بل قضية ثبت علنا أنها تحظى بأعلى متابعة من الدولة.. وهذا ينعكس سلبا أو إيجابا حسب رؤية السلطة التنفيذية فى كل مرحلة.

ولكن لا شك من ناحية أخرى أن محكمة النقض تمثل أعلى درجات الاستقلال القضائى فى مصر، وهى الحصن المتبقى داخل حصن القضاء..

بالإضافة لقسم لا بأس به من محكمة الجنايات وقسم لا بأس بـه فـى مجلس الدولة.

إن تطور الأحداث على مدار الشـهور الثلاثـة الماضية أكـد أصـالة موقـف السلطة فـى تصـفية حريـة الصـحافة، وكنـت قد صـرحت لمحطـة "الجزيـرة" الفضائية أو "مونت كارلو" (لا أتذكر) في المحكمة يـوم ٩ مـارس الماضـى عقب عودتى وتسليم نفسى.. بأن هناك غرفة عمليات واحدة فى السلطة تدير الهجمة على حرية الصحافة، ولسنا أمام قرارات منفصلة لا رابط بينها، كما أدعى ممثلو السلطة.

وقد أثبتت الأيام مع الأسف صحة هذا التقدير.. فالمسـألة تحولـت بالفعـل إلى عملية ترويع للصحفيين.. وتأكيد واقـع حـبس الصـحفيين.. وهـو مـا يعنـى إخراس كل الألسنة.. وفتح السجون لقلة "مارقة" من الصحفيين.

إن التعنت الإسـرائيلى والمساندة الأمريكية لهذا التعنت فرضت على السلطة المصرية تحسين بعض سياساتها الخارجية. ولكنهـا لا تسـير فـى خـط مسـتقيم على هذا الصعيد.. أما على الصعيد الداخلى فقد قررت أن تنفـرد بكـل شـىء.. وهى لا تقيم وزنا لغيرها.. وهو ما يؤبد أوضاع الفساد والاستبداد، وبالتـالى سـوء الإدارة.. ونقص إمكانيات الموقف المستقل حقا عن التبعية لأمريكا.

وقد جاء الانتصار الباكستانى العظـيم بـالتفجيرات النوويـة المتواليـة ليؤكـد كيف انحدرت مصر فى ظل هذه الأوضاع.. فها هى باكستان ترفـع رأس العـالم الإسلامى، وتقتحم عالم المحرمات النووية.

وكما توقعت فى هذه المذكرات منذ أيام فإن التسابق الهندى – الباكسـتانى

فى المجال النووى هو لمصلحة البشرية.. وللعالم الإسلامى. والعربى بشكل خاص.

أما أمريكا التى تعلن فرض عقوبات على الهند وباكستان، فهى أشبه بالفتوة الذى لم يدرك أنه فقد سطوته بالفعل.. ولم يعد يملك إلا الكلام.

لقد قضى الأمر.. ودخلت باكستان والهند النادى الذرى رغم أنف المعاهدة الدولية.. التى طالما ذممنا فيها.. وأوضحنا كيف استذلت مصر للتوقيع عليها.. كما استذلت لعدم اقتحام أى برنامج نووى جدى حتى فى المجال السلمى.

لقد تغيرت خريطة العالم.. وانتهى الأمر.. وأصبح أكثر تعددية.. وأكثر توازنا.. وأصبح المسلمون أكثر قوة.. ولكن أين مصر العظيمة من كل هذه التطورات المذهلة؟!

نحن أمام سلطة عاجزة عن الاستجابة للتحولات الكبرى التى تجرى فى العالم.. وما زالت ترسف فى أغلال ما يسمى العولمة.. وتوجيهات صندوق النقد الدولى.. وعندما تريد التقارب مع فرنسا تفعل ذلك على مذبح الكرامة والعزة الوطنية.. فيتم دعم العلاقات المصرية – الفرنسية من خلال بوابة الاحتفال بالحملة الفرنسية.. وكأنه لا توجد بوابة أخرى.. وكأن فرنسا كانت سترفض التقارب بدون هذا الاحتفال المهين.

هل توجد أمة واحدة فى العالم تفعل ما تفعله مصر العظيمة العريقة (أو هكذا يجب أن تكون)، هل توجد أمة واحدة فى العالم أو حتى قبيلة فى أى مكان منزو من الغابات تحتفل بذكرى احتلال الأجانب لأرضها وركوعها تحت نير الأجنبى؟!

ولو عدت مرة أخرى إلى الوطن الأصغر (السجن).. فحياتي تسير بصورة روتينية منظمة.. ومشكلتي الأساسية أن الواجبات أكثر من الأوقات.. وأنه ليس بإمكاني تحقيق كل برامجي الطموحة ما دمت موجودا في هذا العنبر بعيدا عن الانفرادي.

ولكنني بدأت بتخصيص السبت والأحد والاثنين للدراسات القرآنية والإسلامية.. والثلاثاء والأربعاء والخميس للقراءات السياسية - خاصة حول إسرائيل - والجمعة أجازة، ويوم قراءة حرة.. غالبا ما تكون في الأدب.

أجرينا إصلاحا واسعا لأرضية ملعب التنس.. وأصبح قريبا من الوضع الطبيعي بنسبة ٦٠٪، وأصبح اللعب أكثر إمتاعا.. ولكنني أدركت ضرورة الحصول على أجازة يوما أو يومين في الأسبوع.. لأن هذا النشاط الرياضي الجم لمدة ساعتين يوميا فوق امكانياتي الجسدية!.

كذلك جرت إصلاحات واسعة في المستشفى وحديقته تحت إشراف سعد علوان.. وأصبح مكان إقامتنا أكثر نظافة وروعة مما كان عندما دخلناه منذ ٣ شهور.

ومن أهم الأحداث.. تدهور أحوال عيني اليسرى.. ورفض طلب عرضي على مستشفى الرمد.. وهو الأمر الذى ينذر بعواقب وخيمة.

ومن أهم الإنجازات.. أننا أنقذنا حياة "رضا".. فقد كان على شفا الموت منذ أيام.. وهرعت إلى طبيب سجين معنا وقلت له: إن رضا يموت.. ولابد أن تفعل شيئا لإنقاذ حياته.. وبالفعل استجاب الدكتور، وحقن رضا بحقنة نوفالجين، وحقنة أخرى لا أعرفها.. وأدخلناه الحمام ليأخذ دشا.. وفي اليوم

التالى تحسنت صحته والحمد لله.. و"رضا" هو أصغر قط لدينا فى المستشفى. وتعرض لهجوم من سجين قاسى القلب حطم عظامه.. ومن شدة الآلام فقد رضا شهيته للأكل والشرب وكاد يموت.. وبتسكين الآلام عادت شهيته واستعاد قواه.. ولكنه يعرج عرجة خفيفة.. وكان هذا من أهم انجازاتى فى الأسبوع الماضى.. والتى أدخلت السعادة على قلبى.. وكأننى قمت بنفسى بعملية العلاج!.

أنتظر بشغف مباريات كأس العالم.. رغم أنها ستضيع كثيرا من وقت القراءة.. وشاهدت أخيرا مباريات المغرب مع إنجلترا وفرنسا.. ورأيت بنفسى المستوى المشرف للفريق المغربى.. فقد هزم أمام إنجلترا بهدف واحد رغم أنه كان الفريق الأفضل.. وتعادل مع فرنسا ٢/٢ فى مباراة ندية رائعة.

وتذكرت حال الفريق المصرى.. لقد أقمنا الدنيا ولم نقعدها بعد لأننا فزنا ببطولة أفريقيا بعد طول انقطاع.. ولكن ها هو عرس كرة القدم العالمى ينعقد بدون مصر.. وبحضور ٣ دول عربية: (تونس - المغرب - السعودية)، بالإضافة لإيران ونيجيريا والكاميرون وجنوب أفريقيا.. وهذا هو الغياب الثانى لمصر على التوالى.. وهذه هزيمة حضارية أخرى، رغم أن بعض قرائى لم يقتنعوا باهتمامى بالرياضة، ويرون أنها مجرد لعب عيال.. ويستغربون لماذا أهتم بهزائم مصر المدوية فى الدورات الأوليمبية.. ولماذا قارنت هزيمتنا الأوليمبية بهزيمة ١٩٦٧، ولكننى ما زلت على ثقة بالترابط الشديد بين التفوق الحضارى فى المجال الرياضى.. والمجالات الحضارية الأخرى السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلمية. وربما أعود لمزيد من شرح ذلك خلال التعليق على مباريات كأس العالم التى ستبدأ بعد ١٠ أيام إن شاء الله.

غدا ينصرم شهر مايو.. وسنكون في شهر جديد رابع داخل السجن (يونيو).. وهذه أول مرة أصيف في "طرة"، ولكنني لا أحزن على شيء.. فليس لدى شاليه في الساحل الشمالي ولا الجنوبي ولا الشرقي.. وليس لدى ما آسى عليه.. إلا التخلي عن زوجتي.. التي تعاني الآن من محنة الثانوية العامة وحدها.. أرجو أن يوفق ابني أحمد ويحقق نتائج معقولة.. أما هشام فقد نجح وانتقل للصف الثاني الثانوي.. وهكذا تسير الأمور على ما يرام بدوني والحمد لله.

الخميس ١٩٩٨/٦/٤ الساعة الحادية عشرة والثلث مساء

بعد دقائق ينتهى الخميس.. ونبدأ فى يوم الجمعة الموافق الذكرى الأليمة لهزيمة ٥ يونيو.. هذا اليوم التاريخى والحاسم فى حياة مصر.. وحياتى الشخصية.. وبدون مبالغة.. فلولا هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ما كنت اشتغلت فى العمل العام.. وما كنت أكتب الآن من أحد السجون.. فغدا من حقى أن أحتفل بمرور ٣١ عاما على اشتغالى بالعمل العام.. أنا وكثير من أبناء جيلى.. فهذه الهزيمة المريرة هى التى فتحت عيوننا على حجم الإصلاح الذى تحتاجه البلاد.. وهى التى قذفت بنا إلى مسرح الفكر.. نبحث فى كل الأفكار والأيديولوجيات لإنقاذ البلاد.

وبدء يوم ٥ يونيو بعد دقائق يحمل دلالة أخرى.. فالأيام تمر رغم أنف التكدير الذى نتعرض له فى السجن هذه الأيام.. الزمن يمر كقطار قشاش.. حقا هو بطىء ولكنه يسير.. ويتنقل بين المحطات.. وترى من النافذة أعمدة التلغراف وهى تسير الهوينى فى الاتجاه المعاكس.

لو كتبت مذكراتى يوما بيوم لكان ذلك أفضل من زاوية دقة رسم ووصف الأحداث اليومية.. ولكنى عندما أكتب مرة أو مرتين فى الأسبوع.. فإننى أزهد فى تذكر وتسجيل كثير من الأحداث رغم أهميتها الإنسانية.. وتغلب على المذكرات أحداث يوم الكتابة.

واليوم توقفت بشكل خاص أما تطور الأحداث بين إثيوبيا وإريتريا.. والتى أوشكت أن تتحول إلى حرب حقيقية.. وكنت أتابع تطور المشكلة فى الأيام السابقة.. وأنا فى حالة من الدهشة والذهول.. فهذا النزاع أشبه ما يكون بهبة

من السماء للسودان.. ومصر.. فالطرفان المتحاربان يعاديان السودان حتى الموت.. ويقدمان كل التسهيلات للمتمردين.. خاصة إريتريا.

والطرفان يتحالفان مع أمريكا وإسرائيل ضد مصر والسودان.. إريتريا قاعدة عسكرية لإسرائيل.. وإثيوبيا بدأت التآمر الفعلى على منابع النيل.

واصطدام الطرفين يعطى فرصة للسودان لالتقاط الأنفاس.. كما يؤدى هذا الاصطدام إلى تناحرات وتفكك فى التحالف المعادى للعروبة والإسلام.. والمتعاون مع أمريكا وإسرائيل فى هذه المنطقة الاستراتيجية.. وها هى أمريكا تبذل قصارى جهدها لمنع تحول الاشتباكات الحدودية إلى حرب شاملة.. ولكنها فشلت حتى الآن.. ولو كان لدى حكومتنا حد أدنى من الرؤية الاستراتيجية السليمة لانتهزت الفرصة لتحسين العلاقات مع السودان بصورة متسارعة.. بدلا من اصطناع مزيد من المشكلات.

إن كثيرا من الظروف الإقليمية والدولية مواتية للغاية لمن يرغب فى النهضة المستقلة.. ولكن حكومتنا "صعبان" عليها أن تحقق مجدا.

حتى عقد مؤتمر القمة العربى يكاد يكون فى حاجة إلى موافقة رسمية من البيت الأبيض.. ويتم نشر هذا الكلام علنا بلا حياء (ذكر الإعلام العربى أن أمريكا طلبت تأجيل انعقاد المؤتمر)، والحقيقة فلا تفسير لهذا التخبط فى انعقاد القمة إلا وضع العم سام فى عين الاعتبار.. ولو كانت مصر بصحتها وعافيتها ما حدثت هذه المهزلة.

وفى الأيام الأخيرة عاشت البلاد مهرجانا حول دخول عصر الفضاء.. بسبب شرائنا لقمر صناعى فرنسى.. وما يثير الحنق حقا هو محاولة خداع

الناس، وتصوير ما حدث وكأنه امتلاك لتكنولوجيا الأقمار الصناعية.. رغم أن مصر لم تشارك فى أى مرحلة من مراحل التصنيع، ولم يستفد أى فنى مصرى من عملية التصنيع والإطلاق، وهو أشبه بادعاء امتلاك تكنولوجيا صناعة السيارات بمجرد شراء سيارة مرسيدس من السوق الحرة!!.

أما مضمون المادة الإعلامية فى ٩٠٪ من المحطات فمجرد عملية تحميل تجارية لمحطات لا دخل لنا بمضمونها ومادتها.. أما القنوات الخاصة بمصر فكان يمكن إذاعتها عبر أقمار أخرى.

ومع ذلك يبقى أن نتساءل عن الرسالة الإعلامية التى سنبثها على هذه القنوات.. خاصة وهم يتحدثون عن الهوية المصرية.. وما معنى الهوية المصرية بدون العروبة والإسلام.. وما معنى هذا الانتشار الإعلامى دون تطوير إعلامى ملموس يرتكز على تعددية الآراء.. وفتح مجال أوسع لحرية الإبداع؟

وإذا كانت البيانات المذاعة عن أن عملية بث القنوات الأجنبية والعربية على القمر المصرى (الفرنسى) ستغطى التكلفة الكبيرة للقمر التى تصل إلى نصف مليار جنيه.. فهذا يقلل من معارضتنا.. ولكن تبقى الخطورة فى الادعاءات عن اقتحام عالم الفضاء.. بينما إسرائيل بجوارنا تصنع وتطلق الأقمار التجسسية.. وليس مجرد أقمار الاتصالات والإعلام.

نحن ملوك الفشخرة والمنظرة.. فللآن يمكن أن ندعى أن إسرائيل ليس لديها قمر مماثل.. نعم إسرائيل غير مشغولة بالمنظرة.. إنها تطلق الأقمار التجسسية بعد تصنيعها محليا.. ولا تهتم بشراء قمر (تسليم مفتاح) لإذاعة قنوات فضائية غير إسرائيلية!!.

لا يعلم كثيرون أن مصر أدخلت البث التليفزيونى قبل إسرائيل.. ففى عام ١٩٦٠ بدأ البث التليفزيونى فى مصر.. وحتى عام ١٩٦٧ الذى هزمت فيه إسرائيل ٣ جيوش عربية فى ٦ أيام، بل فى ٦ ساعات.. لم تكن إسرائيل تملك محطة تليفزيونية واحدة!!.

وما زلنا بعد ٣١ سنة من هواة الإنجازات المطلية بمواد المكياج وقشور التقدم.. دون امتلاك المعرفة التكنولوجية الحقيقية.

قررنا فى فرع نقابة الصحفيين هنا القيام بإضراب تحذيرى عن الطعام لمدة ٤٨ ساعة، وذلك يوم عيد الصحفيين الموافق ١٠ يونيو، وهو قرار نستهدف به تحفيز الحركة التى هبطت فى الخارج.. وهى تجربة مهمة بالنسبة لى، لأنه لم يسبق لى خوض تجربة الإضراب عن الطعام.. وستكون هذه بمثابة دورة تدريبية استعدادا للإضراب المفتوح عن الطعام.. إذا جد من الأحداث ما يتطلب ذلك.

الأحد ١٩٩٨/٦/٧ الساعة الواحدة صباحا

رصدنا فى العامين الأخيرين تطورات إيجابية فى السياسة الخارجية للحكم وللرئيس مبارك.. وقد أيدناها بشدة.. أكثر من أى قوة معارضة أخرى.. وقد كان هذا التطور هو مزيد من الابتعاد عن القبضة الأمريكية.. وموقف أكثر تشددا من إسرائيل.. مع ما يستتبع ذلك من إعادة النظر فى التحالفات الإقليمية.

ولا شك أن هذه المواقف جددت نسبيا من حيوية النظام ومدته "بحبوب استعادة الشباب"، ولكن إذا لم تتحول إلى صياغة شاملة لأوضاعنا الداخلية نحو الأفضل.. فإن هذا التطور سيتمخض عن مجرد بيانات جيدة لوزارة الخارجية.

وكما رصد د. محمد السيد سعيد فى مقال بجريدة "الحياة".. فإن النظام كلما ابتعد عن القبضة الأمريكية كلما ضرب معارضة الداخل الوطنية.. وهو لم يقدم تفسيرا لذلك.

فى ظل الوضع الراهن.. لا يمر يوم بدون مصيبة.. الهجوم على الأزهر وإضعافه.. الهجوم على البنوك وشركات التأمين لصالح ما يسمى بالخصخصة للأجانب.. عجز فى الأداء السياسى، بحيث كلما واجه النظام مشكلة.. فكر فى تشريع ينص على الحبس.. وآخر هذه الطريقة الفاشلة فى الأداء.. قانون حبس الصيادلة الذى حفز إضرابا سيحدث يوم الاثنين القادم فى كل صيدليات مصر إذا لم تتراجع الحكومة.. ومشكلة البلطجة.. عملوا لها قانونا أشبه ما يكون باللغو الفارغ.. وهى قوانين تملأ السجون بالضعفاء والمستضعفين دون أن تحل مشكلة.

واليوم تجرى انتخابات مهزلة مجلس الشورى.. حيث تتصارع الحكومة مع نفسها فى واحدة من أسخف أنواع التمثيليات.. ولا مثيل لها حتى فى ظل النظم الشيوعية والشمولية.

كل يوم توجد مصيبة جديدة.. تشير إلى تدهور الأحوال الداخلية.. مشكلة فقراء الفلاحين المستأجرين تم حلها بالحديد والنار، والاعتقالات والتعذيب.

عيد الإعلاميين تحول إلى مأساة.. عندما تم إلغاء لقاء الرئيس المعتاد مع المفكرين والكتاب والصحفيين.. بعد لطعهم قرابة خمس ساعات.. رغم أهمية هذا اللقاء لأنه كان من المناسبات النادرة التى يتحاور فيها الرئيس مع المثقفين، حتى ولو فى صورة أسئلة.

الصحف اليومية أصبحت ملونة.. خاصة الأخبار والأهرام.. ولكنها فى المقابل تشهد انخفاضا متواصلا فى مستوى الأداء الصحفى وفى هامش حرية التعبير.

وتجاهل الصحف أمس (السبت) للحرب الإريترية – الإثيوبية سقطة صحفية مدوية لا يبررها أى اعتبار سياسى.

فلأن السلطة تخشى أن تبدو منحازة لإريتريا أو إثيوبيا.. أصدرت تعليمات بتجاهل أهم حدث فى العالم وهو الحرب الشاملة التى اندلعت بين البلدين.. فصدرت صحف (السبت) الحكومية أشبه بطفل لا يعرف ألف باء الصحافة.. وهذا ما يذكرنا بالإعلام فى أسوأ البلدان الشمولية.. ولذلك.. ولأن السقطة كانت مدوية.. بدأ التلفزيون المصرى (الآن.. الأحد) ينقل تقارير إخبارية عن الحرب.. وأتوقع أن صحف الأحد ستعود إلى رشدها بعض الشىء بعد أن أصبحت مسخة الإعلام فى العالم بأسره.

ولا يمكن مواصلة تعداد مظاهر التدهور على الصعيد الديمقراطى والاجتماعى والاقتصادى.. لأن هذا سيستغرق مئات الصفحات.. المهم أن الوضع يحتاج إلى معارضة شابة.. ولابد من تركيز كل الجهود فى الفترة القادمة على إعداد الطلاب والشباب لينزلوا بكل قوتهم فى ساحة الوغى.. لإعادة التوازن والحياة فى الساحة السياسية.. ولابد من ابتكار أدوات وأشكال جديدة للتعبئة وللحركة الجماهيرية.

ولابد من تشديد النكير على الحكومة فى مساحات الخلاف الواسعة.. لأن نقاط الاتفاق (الخلاف مع أمريكا وإسرائيل) لا يبدو موقف الحكومة فيها جادا.. فتحسين الوضع الداخلى هو المعيار الحاسم لمدى جدية الحكومة فى مناوأة أمريكا وإسرائيل.

ولابد من ضرب الركود السياسى.. وشق إسفين فى مستنقع العفن بأى ثمن.. لأن الحياة السياسية لن تتطور إلى الأفضل إلا عبر هذا السبيل.

الأربعاء ١٩٩٨/٦/١٠ الساعة ٢ صباحا

وهكذا أوشكت الـ٢٤ ساعة الأولى من الإضراب الرمزى عن الطعام احتجاجا على قانون حبس الصحفيين أن تنتهى.. وباقى ٢٤ ساعة أخرى.. وهى كما ذكرت تجربة فريدة بالنسبة لى.. إن اللحظات التى يشعر بها الصائم فى الدقائق الأخيرة قبل المغرب.. أصبحت لحظات ممتدة.. حيث تخور قواى بالتدريج.. القراءة صعبة.. والنوم صعب.. أسأل الله المغفرة وتثبيت الأقدام، وأن يحسب لنا هذا العمل باعتباره عبادة خالصة لوجهه.

لم أصم يوم الاثنين الماضى لذلك صمت يوم الثلاثاء، ولكننى أفطرت على ماء فقط، فى هذه اللحظة استطعت تماما أن أشعر بما شعر به والدى أحمد حسين خلال إضراباته المتوالية عن الطعام لعرقلة تخطيط فاروق إعدامه بتهمة التحريض على حريق القاهرة.

إن أحمد حسين لم يلجأ لسلاح الإضراب المفتوح عن الطعام إلا لمواجهة خطر الإعدام الظالم.. وأنا أفكر كثيرا فى الإقدام على هذا العمل.. من أجل الدفاع عن حرية الصحافة.. فأنا لست متبرما من سجنى.. فهو بالنسبة لى عطلة ممتدة من قرف الدنيا.. وهو بالقطع – بالنسبة لى على الأقل – ليس امتدادا بسيطا للدنيا.

إنه أشبه بالبرزخ.. منطقة وسط بين الدنيا والآخرة.. منطقة اعتكاف وتطهير وتأمل بعيدا عن تيار الحياة.. وأنا أكره الكثير من أحوال الدنيا بشكل عام.. وأحوالنا العامة فى الآونة الأخيرة بشكل خاص.. ولذلك فالبعد عنها غنيمة.. ولو لم يكن إسلامنا يحرم الانعزال عن الدنيا لفعلتها منذ زمن.. ولذلك فمن حسن الطالع أننى الآن معزول رغم أنفى.

لقد كرهت دوما النفاق والرياء والجبن والتكالب على الأغراض المادية للدنيا.. لذلك توقفت كثيرا أمام وصف القرآن للجنة بأنها: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً﴾، وإن أكثر ما يعذبنى فى الدنيا الكذب، واللغو الفارغ.. وكذلك جاء فى القرآن وصفا للجنة: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

ولولا أن تمضى الحياة الدنيا جهادا فى سبيل الله ما تحملها الإنسان المؤمن بالله لحظة واحدة.

وهكذا فلست متبرما من سجنى.. ولكننى فكرت فى الإضراب المفتوح عن الطعام – كما ذكرت – للدفاع عن قيمة حرية الصحافة.. وحق محاربة الفساد.. وتعويضا لضعف حركة التضامن مع القضية.. وهى محاولة لمواصلة صراع استشهادى لم يشاركنى فيه إلا نفر قليل من كل الأمة.

ولكننى أقول: إن الإضراب المفتوح عن الطعام عندما يكون جديا.. فإنه يعنى الصراع بالحياة.. ولأن الإنسان لا يملك إلا حياة واحدة.. فلابد ألا يرهقها مستشهدا إلا مضطرا.. وأنا لست مضطرا الآن.. لأن الدفاع عن حق محاربة الفساد وحرية الصحافة ممكن بوسائل أخرى.. ولو تقاعست الأمة فلن أظل أنوب عنها فى كل شيء.

وبالتأكيد أنا لا أخوض الآن معركتى النهائية الفاصلة.. رغم إدراكى لأهمية هذه المعركة، فيجب ألا استهلك كل ما أملك من "جسد" فيها.

اليوم (الثلاثاء) زارنا وفد نقابى على مستوى عال برئاسة مكرم محمد أحمد وأعضاء هيئة المكتب (جلال عيسى – على هاشم – محمد عبد القدوس –

مجدى مهنا)، ولم يكن لدى مكرم جديد إلا نبأ طيبا بصدور تقرير نيابة النقض لصالحنا.. وبالتالى أستطيع أن أقول لأول مرة إن احتمالات الإفراج عنا (محمد هلال وأنا) أصبحت عالية جدا.. وبعد ساعات يشهد الأربعاء احتفالا بالنقابة بمناسبة عيد الصحفيين، حيث سيتم تكريم أسر الصحفيين السجناء.

وفى حديثى مع مكرم أكد أنه لم يتوقف عن المطالبة بإلغاء حبس الصحفيين، وأنه يرتب لعقد المؤتمر الرابع للصحفيين فى أكتوبر القادم لهذا الغرض.. وقلت له: كل هذا جيد ولكن لماذا تأجيل الموضوع ٤ شهور؟! ولماذا لا نتحرك من الآن والموضوع ساخن؟! وضربت له مثلا بنجاح الصيادلة فى إلغاء قانون الحبس بمجرد التلويح بالإضراب.

كذلك زارنا اليوم وفد محامين مكون من د. صلاح صادق وممدوح فرج ومحمد حمد.. ويبدو أنهم لا يريدون أن يتركونى فى حالى.. فأحضروا معهم نسخة من أوراق قضية الألفى التى ستنظر فى يوليو القادم.. لأشارك المحامين فى الدفاع.. وهذا يتعارض مع خططى الاعتكافية.. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحلقة التاسعة

- وصلنى تقرير نيابة النقض.. ولم أقرأه رغم أنه لصالحى!
- المأكولات الشامية تنهال علينا.. وكأننا فى مطعم لبنانى!
- إلغاء عقوبة حبس الصحفيين ضرورة للقضاء على صحافة الفياجرا.
- أخيرا.. تمت الموافقة على علاجى بمستشفى الرمد.
- الزمن يتوقف كلما اقترب موعد محكمة النقض!
- توقعات كروية سليمة: البرازيل وفرنسا أبرز فرق كأس العالم.

السبت ١٩٩٨/٦/١٣ الساعة ٣ صباحا

أكتب الآن وليس لى رغبة فى الكتابة، ولكننى حاولت النوم وعجزت. فالجو شديد الحرارة.. والمراوح تحرك هواء ساخنا، فأصبح العنبر "سونا" محترمة.. ونافذتي التى تحمل إلى كل مساء بعض الهواء المخلوط برائحة المجارى.. لا تأتينى الليلة إلا برائحة المجارى.. وأرتال من الناموس.. بعد أن نام الذباب، فالذباب والناموس يتبادلان النبطشية بصورة دقيقة تفوق أعتى الجيوش انضباطا.. فبمجرد أن يحل الليل تنسحب أسراب الذباب لتنام فى أركان محددة بالعنبر أو تخرج منه، وتحل أسراب الناموس فى مهمة حراستنا، دون أى فاصل زمنى خلال تبديل الورديات.

و مر كل ليلة بنفس التجربة.. فرغم امتلاكى بعض أدوات مقاومة الناموس إلا أننى لا استخدمها إلا بعد أن يصيبنى الإعياء.. وأحيانا أتحمل ولا استخدمها.. كما رفضت تفصيل ناموسية أسوة ببعض زملاء العنبر.. وهى ليست غالية الثمن.. فلا أريد أن أتعود على الرفاهية.. ولا أضمن استمرارى فى وضع حسن المعاملة الحالى.. واستعدادى الدائم لتحمل أسوأ الاحتمالات يعطينى قوة داخلية بأن أحدا لا يتفضل علىّ بحسن المعاملة: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وتقول الصحف إن الحرارة اليوم ٤٠ وربما ارتفعت عن ذلك، وزاد شعورنا بالحر أن "كانتين" السجن لم تكن به مياه مثلجة.. فشربت معظم نهار الجمعة مياها ساخنة.. وهذا مفيد وجيد.. فأنا أشعر بالخجل لتوافر كل الأساسيات من حولنا، بينما أسمع عن السجون المجاورة ما يشيب لهوله الولدان، وبالتالى فإن أى تدهور معيشى – ولو بسيط – يوقف بعض وخزات الضمير.

أنهينا إضرابنا عن الطعام بعد منتصف ليل الأربعاء. وقد كانت التجربة كما كتبت آخر مرة قاسية، ومر عليّ اليوم الثانى بطيئا، وعجزت عن النوم إلا لفترات قصيرة جدا ومتقطعة، وشعرت بالآم فى الكلية . ويقول خبراء الإضراب عن الطعام إن الأيام الأولى تكون من أصعب الأيام حتى يعتاد الجسم على الوضع الجديد، فتختفى معظم هذه الأعراض، وتبقى السكينة النفسية، مع عدم القدرة على الحركة.

وبالتالى لقد عانينا أسوأ مراحل الإضراب. ولكننى فى اليوم الثانى كنت قادرا على الحركة، وتمكنت من الجلوس أما التليفزيون ومتابعة مباريات كأس العالم.. وتمكنت من قراءة كتاب كامل للشيخ القرضاوى.. وجزء من القرآن.. وجزء من قصة.. وهى حصيلة لا بأس بها.. ولكن مما لا شك فيه أن الإضراب عن الطعام هو مواجهة ملموسة للموت.. ومعايشة واعية لكل مظاهر الاحتضار، وكل مظاهر انطفاء الحياة فى الجسد.. ومع ذلك فقد حقق الإضراب هدفه السياسى.. وحقق هدفه الشخصى بالتدريب عليه تحسبا للمستقبل.

ونظرا لصغر المدة.. فقد استعدنا قوانا سريعا، خاصة بعد غذاء دسم يوم الخميس التالى لفك الإضراب.

واليوم (الجمعة) اكتشفت أنه من المستحيل أن أتابع مباريات كأس العالم.. مستحيل أن أتابع ٣ مباريات فى اليوم (لقرابة ٥ ساعات).. فبدأت انتقى المباريات الأكثر أهمية.. وبدأت انسحب من مشاهدة بعض المباريات فى منتصف الوقت.

ويوم الجمعة كان أجازة رسمية معتادة فى السجن.. وأيضا أجازة فى

برامجى الخاصة.. واكتفيت بقراءة الصحف التى ما زالت تروى قصص تصاعد الصراع المسلح بين إريتريا وإثيوبيا.. ومهازل مجلس الشعب فى إصدار القوانين، وأيضا أخذت جولة فى بعض الروايات.. وعقدنا ندوة حول العروبة والإسلام.

واضح من جريدة "الشعب" أن الاحتفال بعيد الصحفيين كان ناجحا.. نسال الله التوفيق.. والصبر.

الثلاثاء ١٦/٦/١٩٩٨ الساعة ٣,٢٠ صباحا

ها آنذا أتوجه للكتابة في المذكرات دون رغبة في الكتابة، إلا مواصلة الثرثرة مع نفسي.. فقد واصلت القراءة لأكثر من ٣ ساعات متصلة في الموسوعة القيمة للشهيد عبد القادر عودة (التشريع الجنائي الإسلامي) وقرأت جزءا في كتاب (مدارك السالكين) لابن القيم "منزلة الشكر"، وأردت أن ألتقط الأنفاس قبل موعد صلاة الصبح.

ها هي زوجتي تتعثر للمرة الثالثة أو الرابعة في زيارتي في الموعد المحدد، ولكن زارني اليوم الأستاذ فايز محمد علي للمرة الثالثة.. وربما الرابعة، وهذا فضل كبير منه.. لأنني أتصور أنه يتجشم عنتا كبيرا في السير على الأقدام من البوابة الخارجية لمنطقة السجون (حوالي ٢ كيلو متر) حتى سجن مزرعة طرة، في قيظ الصيف.. وزارني معه الأستاذ عصام عبد المطلب المحامي، الذي فجعني بنبأ وفاة وليده ذي الثمانية شهور، وهذا ابتلاء شديد خاصة للأم.

وها هي رسائل ترسل للإنسان كل يوم، لعله يدرك أن كوارث عظمى تحيط به من كل جانب، وفي كل لحظة.. فمن ينجو في يومه منها لبات لربه شاكرا ممتنا.. حامدا مخبتا: (من بات آمنا في سربه.. معافى في بدنه.. عنده قوت يومه.. فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها)، كذلك فمن (رأى بلوة غيره هانت عليه بلوته).

أعطاني الأستاذ فايز نسخة من تقرير نيابة النقض، الذي هو لصالحنا.. ومن عجب أنني زاهد في قراءته حتى الآن، وقد قررت ألا أعكف على دفاعي في قضية الألفي بالجنايات إلا قبل الجلسة بأسبوع واحد.. فالحكاية لا تستحق أكثر من ذلك، والبركة في الأساتذة الأجلاء المحامين.

قمنا اليوم بعمل غير مألوف أو مجنون، إذ أفطرنا الصبح بالمقلوبة.. والمقلوبة أكلة شامية من الأرز والبذنجان والدجاج، وقد تحمست للفكرة على سبيل التغيير وكسرا للروتين، حيث أنني لا أتناول عادة ما يمكن أن يطلق عليه وجبة إفطار.. وقد من الله علينا بحبس عمرو ناصف! حتى تتنوع الخيرات.. فخارج السجن تهوى النفس أحيانا التوجه لمطعم لبنانى.. وها نحن فى السجن تأتى إلينا أشهى المأكولات الشامية بيد زوجة عمرو السورية.. وأنا أحب الأكل الشامى (اللبنانى - السورى - الفلسطينى)، ولأن الشيء بالشيء يذكر.. فقد وصلتنى هدية ثمينة من مصدر آخر (زعتر - ميرامية) أما الزعتر فمعروف، أما الميرامية فهى نبات عطرى يوضع مع الشاى كالنعناع، وله فوائد طبية عديدة.. وهكذا تصل إلينا فى محبسنا أطايب الطعام والأعشاب من المشرق العربى.. وتحيا الأمة العربية!

كما ألاحظ - كما ذكرت مرارا من قبل - انهيار الصحافة المصرية بصورة متواصلة.. وكل يوم.. وكل أسبوع.. تقل المادة الجديرة بالقراءة.. وتقل المقالات التى تتناول قضايا جادة أو شائكة، ولا أتصور أن يتوقف هذا التدهور إلا بإلغاء المادة التى تنص على حبس الصحفيين.. وإذا لم يحدث ذلك فستظل الفياجرا وما أشبه هى الموضوعات الطاغية!!

اليوم لم أشاهد مباراة كاملة واحدة فى كاس العالم، ما زالت الهزائم العربية والآسيوية والأفريقية متوالية.. ولم يرفع معنوياتنا إلا فريق نيجيريا بلعبه وبفوزه الساحق على إسبانيا إحدى معاقل كرة القدم بأوروبا، وكذلك تعادل المغرب مع النرويج، وكانت تستحق الفوز، كذلك تعادل الكاميرون مع

النمسا، رغم أن الفوز سرق منها فـى اللحظـة الأخـيرة. كـذلك سـعدت لتعـادل شيلى مع إيطاليا، وتعادل باراجواى مع بلغاريا.. فأنا أشجع دول العالم الثالث ضد أوروبا.

وعموما أحسن الفرق حتى الآن: البرازيل – ألمانيا – نيجيريا – فرنسا. ولا أستطيع الحكم على الأرجنتين لأننى لم أشاهد مباراتها مع اليابان.

ولا يلاحظ مشجعو كرة القـدم فـى مصـر.. أن الفيفـا صـورة مصـغرة لنظـام مجلس الأمن.. الذى يستهدف ضمان السيطرة الأوروبيـة والغربيـة.. ففـى كـأس العالم ٣٢ فريقا من بينـها ١٥ فريقا لأوروبا (بل إن لبريطانيا فريقين!!) و٥ مـن أمريكا اللاتينية – ٥ من أفريقيا – ٤ مـن آسـيا والأوقيـانوس – ٣ مـن أمريكـا الشمالية، وهو الأمر الذى سأعلق عليه فى مرة قادمة لأن الوقت أزف للصلاة.

السبت ٢٠/٦/١٩٩٨ الساعة ٧ صباحا

منذ ثلاثة أيام غيرت برنامجي.. أو لعل جسدى أرهق من سهر الليالى، فأصبحت أنام بعد منتصف الليل وأستيقظ لصلاة الفجر، ثم أعاود النوم بعد ذلك بعدة ساعات.

وأصبحت أعانى من مشكلة جديدة، هى بطء الزمن أو توقفه.. فكلما اقترب موعد ٧/٢ – موعد محكمة النقض – أصبح إحساسى بمرور الزمن ثقيلا.. ورغم أن تقرير نيابة النقض جعل احتمالات الحكم لصالحنا شبه مؤكدة، إلا أن نفسية السجين تأبى الركون للاطمئنان الكامل.. فالسجين يعيش خارج الزمان والمكان، وله قوانينه الخاصة.. وأحاسيسه المتميزة، وهو لا يصدق شيئا إلا عندما يلمسه بيديه، هو أشبه بجنين عاقل يعيش خلف ثلاث ظلمات.. ويعرف أن موعد ولادته وخروجه للحياة بعد ٩ شهور، ولكنه يخشى أن تأتى الولادة قيصرية.. ويخشى من مخاطر الولادة عموما، ويعرف أن الشهور التسع ليست مقدسة، فقد تتأخر عن موعدها.

وحالة عدم التأكد تسيطر علىّ، فلا أقوم بالترتيبات اللازمة، فلا أرسل معظم الكتب إلى البيت، ولا أتبادل أرقام الهاتف والعناوين مع أصدقاء السجن الذين قد أسبقهم فى الخروج، والذين يتعين علىّ أن أهتم بشئونهم بعد خروجى.. إلخ إلخ.

وقررت تأجيل كل هذه الترتيبات حتى اللحظة الأخيرة.. كما أسمع أنباء من عالم ما وراء السجن تسد نفسى عن الرغبة فى الخروج، ولكننى لا أملك إلا الدعاء بفك الأسر، فلابد أن نطلب من الله الخير.. وأن نصبر عند الابتلاء.

وشعورى ببطء الزمن مع اقتراب الموعد الاحتمالى للإفراج.. وشعورى بالقلق من فكرة العودة للحياة.. شعور تقليدى لدى المساجين الذين يطول حبسهم لعدة شهور أو عدة سنين، وأنا أتغلب على هذه المشاعر بمواصلة برامجى بدون أى تغيير، وكأننى أعيش فى السجن أبدا.. بل أننى أحاول التهام الكتب بمعدلات أسرع خوفا من انتهاء فترة التفرغ التى لن تعوض.

ومع ذلك فإن كل هذه الحيل لا تقضى على شعورى ببطء الزمن، وفى الأيام الأخيرة توالت بعض الأحداث المهمة، لعل على رأسها استجابة وزارة الداخلية أخيرا - وبعد أكثر من شهر من المطالبة - لطلب علاجى فى مستشفى الرمد.. وذهبت يوم الأربعاء الماضى.. وأعجبت بالحالة الطبية لهذا المستشفى العام من حيث النظافة والتجميل، ومستوى العلاج، وتجهيزاته، ولا شك أن بإمكاننا أن نفعل الكثير من مثل هذا لتطوير المستشفيات العامة.. وأصابتنى حالة من الفضول لمعرفة قصة هذا التطوير، وكيف حدث فى وقت تتدهور فيه المستشفيات العامة عموما؟ وهذا موضوع تحقيق صحفى سأوصى به.

أما بالنسبة لى فقد كان العلاج ضروريا.. وبدأت أشعر بتحسن فورى فى عينى اليسرى والحمد لله.. والطريف أننى مررت أمام بيتى فى الذهاب والعودة.. واطمأننت أن البيت ما زال فى موضعه.. ولكننى لم أجد فى الشرفة أحدا من الأسرة لألوح له.

فى كأس العالم لم يرفع رأس المستضعفين إلا نيجيريا، خاصة بعد فوزها الثانى على بلغاريا الرابعة فى كأس العالم الماضى.. تمنياتى القلبية أن تصل إلى الأدوار النهائية.

الحلقة العاشرة والأخيرة

- آخر قراءاتي في السجن: عن التشريع الجنائي الإسلامي والثورة العرابية والإرهابي نتنياهو.
- ما يسميه "المنبطحون" إيجابيات الاستعمار الفرنسي والإنجليزي.. مجرد هراء وتزييف للوعي.
- آخر دعاء قبل صدور حكم محكمة النقض: "أسأل الله فك الأسر أو الحبس الانفرادي"!

الثلاثاء ١٩٩٨/٦/٣٠ الساعة ٣ صباحا

كنت قد قررت التوقف عن الكتابة حتى موعد محكمة النقض، ولكني وجدت أمامي ساعة قبل صلاة الفجر.. وبعد أن أنهيت وردى اليومي فى قراءة القرآن.. وأنهيت الكتاب الذى فى يدى (الجزء الأول من مذكرات أحمد شفيق)، إذن لا بأس من الثرثرة مع النفس.

كما ذكرت من قبل فإن حالة الترقب والانتظار بالغة السخف، حتى يبدو انتظار موعد الإفراج المؤكد بعد سنة أو سنتين أهون من موعد الإفراج الاحتمالى بعد أسبوع، وليس فى ذلك أى نوع من المبالغة، إن الإحساس بالزمن نسبى، ونسبى للغاية.. فرب دقيقة فى حالة عصيبة تساوى دهرا بأكمله.. ورب عام سعيد يمر كالبرق.

ترقب احتمال الإفراج يربك الخطط، ويجعل النفس موزعة بين الداخل (السجن) والخارج (السجن الأكبر)، أما عدم انتظار هذا الاحتمال فيجعل النفس متوجهة بالكامل لحياة الداخل.. لذا قررت أن قرار محكمة النقض إذا جاء بالتأجيل لمدة أسبوع أو أسبوعين.. أو حتى بالرفض.. فسأشرع فورا - بإذن الله - فى التفرغ لكتابة دراسة إسرائيل.. ولم يبق أمامى سوى كتابين مهمين.. ومجموعة غير قليلة من ترجمات الصحف الإسرائيلية.. والانتهاء من قراءتها يحتاج لحوالى أسبوع.. ثم أشرع فى الكتابة فورا.. حتى أجد ثمرة ملموسة لفترة إبعادى القسرى عن الحياة.. والشيء الذى فت فى عضدى أن قراءاتى طوال الأسابيع الماضية لم تضف فكرة جديدة أساسية لم تكن لدى من قبل، ولكنها أمدتنى بمعلومات تؤكد آرائى.. حقا إننى لم أكتب آرائى بعد، ولكنها ليست

مبتكرة ولا جديدة كل الجدة . فكثير من المقالات فى الصحف المصرية والعربية والأجنبية تتحدث عن أزمة المجتمع الإسرائيلى.. ولكن دون تحليل متكامل.. وأنا لا أريد الكتابة لمجرد الكتابة، فلابد أن أشعر بأننى أضيف شيئا يساعد السياسيين والمجاهدين والباحثين.. وعموما لقد تعودت أن أرى الأفكار تتولد بتألق أكبر أثناء الكتابة.. فعملية الكتابة التى تستهدف تنظيم وتحليل المعلومات أشبه بالشرارة التى تشعل نارا تنير بعض المعانى التى لم تكن موجودة أصلا فى عقل الكاتب عند البداية.. وعلى رأى المعلق الكروى محمود بكر (حنشوف)!!

أما مذكرات أحمد شفيق باشا فقد كانت جولة لا بأس بها، خرجت بها عن البرنامج القاسى الروتينى الذى وضعته لنفسى، فقد كانت إطلالة على تاريخ مصر.. وهذا محور مهم فى البناء الفكرى.. لا أجد وقتا كافيا له خارج السجن.. إلا إذا كان متصلا مباشرة بمقال أكتبه.. كما فعلت أثناء كتابتى عن موقع البحر الأحمر فى الأمن القومى المصرى.. وأيضا عن علاقة مصر بالسودان.. الأمر الذى تطلب منى الغوص فى عشرات الكتب والموسوعات.

ولكن لابد من القراءة فى التاريخ بدون التقيد بالإعداد لمقال محدد.. ومن القصور الفادح لدى العاملين فى الحقل الإسلامى إهمال هذا الجانب.. فكثيرة هى المنظمات والأحزاب الإسلامية التى لا تضع دراسة التاريخ الوطنى والقومى والإسلامى والإنسانى عموما فى إطار برامجها التثقيفية.. وهو الأمر الذى يكرس ضيق الأفق.. ونقص المعرفة السياسية، ولو عدت مرة أخرى لمذكرات أحمد شفيق فإن الجزء الذى قرأته ليس بالغ الأهمية.. ويبدو أن حولياته أكثر أهمية من المذكرات.. ومع ذلك فقد تضمنت عددا لا بأس به من الوثائق حول مرحلة الثورة العرابية.. والسنوات الأولى للاحتلال البريطانى.. وتكمن أهميتها فى أنها

رؤية للأحداث من داخل السلطة.. وأهم ما فيها هو الوصف الدقيق لأحوال الحاشية الخديوية.. والطبقة الحاكمة في ذلك الوقت.. وهو الوصف الذى يعطي صورة سينمائية حية لأحوال الحكم.

وقراءة المذكرات فرصة لإعادة التدبر في دروس فشل الثورة العرابية.. والمقام لا يحتمل الآن مناقشة هذه الدروس، ولكن الطريف في الأمر أننى كنت أقرأ تطورات الثورة بشكل عاطفي.. وأتمنى نجاح الثورة العرابية، وكأننى لا أعرف النتيجة!.!

تكشف هذه المرحلة حيوية الشعب المصرى، الذى يعلق مثقفو وسياسيو اليوم تقصيرهم عليه (أى على الشعب)، وتكشف تجربة نادرة لتلاحم الجيش والشعب، وكيف نشأت سلطة شعبية حقيقية أدارت البلاد زهاء ٢٠ شهرا.. لم يكن خلالها الخديوى توفيق إلا طرطورا.. ولم تتعد سلطاته أسوار قصوره، ولولا فظاظة التدخل البريطانى العسكرى لكانت هذه الثورة فاتحة تطور كبير للبلاد.. وأن ما يسميه المنبطحون "إيجابيات" الاستعمار الفرنسى أو الإنجليزى مجرد هراء فارغ وتزييف للوعي.

ومن الطريف أن نجد موقف الإنجليز بعد السيطرة على البلاد مطابقا لموقف الأمريكان الآن من الديمقراطية فى مصر.

يقول أحمد شفيق: "سمعت أن المعتمد البريطانى يقول بعدم معارضته لإيجاد مجلس شورى، غير أنه يضيف إلى ذلك أنه يخشى احتمال طلب النواب المناقشة فى أمور خارجة عن اختصاصاته، اعتمادا على قوة الجيش، وأنه يقول إن إيجاد هذا المجلس تجربة خطرة، مع أن الذى سمعناه أن حكومته تعطف على قيام النظام النيابى فى مصر، فنحن فى حيرة من هذا التناقض".

وهو لا تناقض ولا حاجة يا شفيق باشا، فالديمقراطية لهم.. والاستبداد الذى يحمى مصالحهم لنا.. هكذا كان الاستعمار الغربى وحتى الآن.

أمس (الاثنين) زارنا الزميلان صلاح عبد المقصود ويحيى قلاش من مجلس نقابة الصحفيين.. وكانت زيارة مفيدة روحيا وماديا!! وناقشنا دور النقابة فى استمرار إحياء قضية حبس الصحفيين من الناحية التشريعية.. وعدم الانتظار لانعقاد مؤتمر الصحفيين فى أكتوبر القادم.

وفى الصحف لم أجد ما يلفت النظر.. فحتى الأحداث العالمية والإقليمية هدأت.. ربما تحت تأثير كأس العالم الذى يشغل الحكام قبل المحكومين فى الكرة الأرضية! ويظل موقف إسرائيل من عمليات التسوية هو الحدث الأبرز.. ويدفع نتنياهو حكامنا وسائر حكام العرب إلى أسوأ وضع، فهم ما فتئوا منذ عدة سنين يحذرون من طريق مسدود لعملية "السلام"، وها نحن وصلنا إلى الحائط السد.. فإن استمرار تصريحاتهم ستتحول إلى نكتة إذا لم تتحول إلى عمل.

تصريح رسمى مصرى حول ضرورة التكامل العسكرى العربى هو أخطر تطور فى الأيام الماضية.. إذا لم يكن مجرد تخويف لإسرائيل.

الحدث الثانى الأخطر هو الغزل الأمريكى لإيران.. وهو ينذر بالخطر لأن التهافت الأمريكى بالغ الوضوح.. وهو ما أشرت إليه فى آخر مقال لى قبل دخولى إلى البيات الصيفى بطرة.

على المستوى الداخلى.. الركود هو سيد الموقف.

الآن دقائق على صلاة الصبح.. فلأكرسها للدعاء.. فى لحظات الاستجابة.. وهكذا وعدنا الله، كما جاء فى حديث قدسى.

الخميس ١٩٩٨/٧/٢ الساعة الثالثة صباحا

ها هى ظروفى تتكرر بالكربون.. فأمامى ساعة على صلاة الصبح.. والنوم جافانى بعد أن أنهيت ورد القرآن.. وأوشكت على إنهاء الكتاب الأخير عن إسرائيل.. فرأيت مواصلة الثرثرة مع النفس!

الحرارة شديدة.. والرطوبة مرتفعة.. والهدوء يلف المكان.. وهذه أسعد لحظاتى.. ولا يمزق الهدوء إلا أصوات المراوح التى تحرك الهواء الساخن.. وشخير الزملاء.. الذى من فرط تعودى عليه أصبح أقرب إلى زقزقة العصافير، فهو أحب إلى قلبى من صوت التليفزيون المتواصل.. لقد فعلت فى المساء كل ما من شأنه أن يمنعنى من النوم.. فقد تناولت لأول مرة عشاء دسما.. وشربت قهوة.. رغم إقلاعى عن شربها طوال شهور السجن.. وشاهدت واحدا من أسخف الأفلام المصرية.. وقرأت جزءا كبيرا من كتاب نتنياهو (مكان تحت الشمس)، وأنتظر بعد ساعات حكم محكمة النقض.. فلو عرف النوم طريقه إلى جفونى بعد صلاة الصبح.. يبقى جدع!!

وهكذا أنهيت اليوم – ولم أنتظر حكم النقض – كتابا ونصف كتاب عن إسرائيل.. وهذان الكتابان آخر ما لدى.. أو آخر ما وصلنى من الخارج.. لم يبق إذن سوى نصف كتاب نتنياهو.. لأتفرغ تماما لترجمات الصحف الإسرائيلية.

واليوم علمت أن ابنى أحمد حصل على ٨٠٪ فى الثانوية العامة، فالحمد لله حمدا كبيرا، رغم علمى أن هذا المجموع أصبح فى حكم المتوسط.. ولكن ما يهمنى أن يختار الكلية التى يستطيع أن يحقق نجاحا فيها.. وأن تسير العجلة إلى الأمام.. ولا يعرف أحد أين الخير!

كذلك انطلقت اليوم "فاعليات" أول بطولة للتنس فى السجن بناء على اقتراحى، أطلقنا عليها (طرة جاروس)، ويشارك فيها ٨ لاعبين (آسف ٨ مساجين).. وبما أننى صاحب الاقتراح، فقد أصبحت مسئولا عن تدبير جائزة للفائز بالبطولة، وستكون غالبا باكو شاى، أو علبة سمن من الكانتين!!

إذا لم يأذن الله لنا بالخروج اليوم.. فسأعود لخوض معركتى التقليدية من أجل الانتقال إلى الحبس الانفرادى.. فهو أكثر الأوضاع إنتاجا.. وقربا إلى الله.. وسكينة للنفس.. وتهيئة لها للاستمرار فى السجن فترات طويلة.. وقد انضم الزميل محمد هلال إلى فكرتى هذه.. وأسأل الله التوفيق بفك الأسر.. أو الحبس الانفرادى.

ولدينا مشروعات نحو مزيد من التقشف.. ولكن الحديث عنها الآن يبدو مبكرا.

انتهت المذكرات وتم نشرها بالنص كما كتبت.

ملاحظة:

بعد ساعات من كتابة هذه السطور الأخيرة جاءنى الرائد جمال النجدى ليبلغنى نبأ صدور حكم محكمة النقض لصالحى.. وكان هذا الحكم هو بداية نهاية هذه الحقبة الشاقة من حياتى ومن حياة جريدة "الشعب".

نحتسب كل ما قمنا به خلالها وما تكبدناه من مشاق ومتاعب ومعاناة عند الله وحده.. فكل ما قمنا به لم نستهدف به إلا وجه الله والوطن.. وحبا لهذا الشعب الذي يحتاج لمن ينطق بلسانه.

وكل ما بذلناه من عرق.. لم يكن سدى.. ولعله عاد بالخير على الوطن.. أو

هكذا نحسب.. ولكننا لا نعيش فى الماضى.. ونتطلع للحاضر والمستقبل.. معاهدين الشعب أن يكون قلمنا ملكا له، وألا نستخدمه إلا فى الحق ودفاعا عن الحق.. أن نفتدى الوطن بأرواحنا.. وأن نتقبل الابتلاء بقلب راض غير حاقدين على أحد.. لأن الابتلاء يغسل أرواحنا.. وينقيها بالماء والثلج والبرد.. فنتأهل أكثر لمواصلة المسيرة الكبرى.. مسيرة تحرير الوطن من دنس الأجنبى المتسلط.. وتطهيره من الفساد.. وبناء عز مصر ومجدها.. فى إطار دورها القيادى العروبى والإسلامى.

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ صدق الله العظيم

مجدى أحمد حسين

الروضة ١٩٩٨/٩/١

الجزء الثانى

مذكرات لم تكتمل

يوميات فى سجن مزرعة طرة

هذه هى المرة الثانية التى أكتب فيها يوميات داخل سجن مزرعة طرة (بيتى الثانى) خلال سنة واحدة.. ولكنها جاءت هذه المرة مبتورة.. لأنى أعطيت الأولوية القصوى للبحث والإطلاع.. ومع ذلك فإن نشرها مبتورة كما كتبت قد يفيد من لم يدخل السجن بعد من الصحفيين والمثقفين.. فلابد من تهيئتهم لأجواء السجن وما يثيره من مشاعر.. وكيف تمضى الوقت فيه.. وذلك حتى تنجح حركتنا فى إلغاء الحبس فى قضايا الرأى والنشر.

مجدى أحمد حسين

الحلقة الأولى

- لسنا ساعين لكربلاء.. وإن كان يشرفنا أن نكون كشهدائها.
- أيام القلق قبل التعديل الوزارى.. وحين تصورت أن الفرج سيأتى من داغستان!
- أقترح على اللواء العادلى أن يعطى جائزة للعقيد البطران على روايته.

الاثنين ۱۹۹۹/۹/۲۰ الساعة ۲,۲۰ صباحا

سجن مزرعة طرة - عنبر ٤ - زنزانة الملاحظة الطبية.

كنت قد وضعت لنفسى قاعدة فى الحبسة الماضية (حبسة الألفى) ألا أبدأ فى كتابة مذكراتى قبل مرور شهر، حتى تستقر أحوالى.. المادية.. والنفسية.. وحتى لا أبدأ كل البرامج دفعة واحدة.. فيكون دائما هناك جديد فى كل فترة.. فمثلا سأبدأ الصيام مع انتهاء التوقيت الصيفى يوم ٢٤ الحالى وهكذا.. وإذا استطال بنا المقام فستكون إن شاء الله هنالك برامج أخرى.

المهم يوم ٩/١٤ الماضى كان قد حل موعد بداية المذكرات الشخصية.. ولكننى ترددت فى البداية، وما زلت مترددا.. ولا أعلم إن كنت سأواصلها أم لا.. فالمذكرات وسيلة للتفريج عن النفس.. ولست متبرما من سجنى.. والحمد لله فقد أصبحت أحوالنا ميسرة.. كما أننى كالعادة مشغول بالدراسات والقراءة والعبادة، والوقت ضيق للغاية، وأخشى أن تكون هذه الثرثرة مع النفس مضيعة للوقت.. وعلى أى حال فلنترك الأمور على أعنتها.

اليوم نبدأ – صلاح بديوى وأنا – اليوم الثامن والثلاثين فى الأسر، ولن ألخص أحداث الأيام الماضية.. المهم لقد استقر بنا المقام منذ حوالى ٣ أسابيع فى زنزانة الملاحظة الطبية بعنبر ٤ الخاص بالجنائيين!! وهذا هو الوضع الأمثل بالنسبة لى، أى أن أكون فى حبس انفرادى، أو شبه انفرادى مع الأخ العزيز صلاح.. حيث التفرغ التام للقراءة والعبادة والكتابة إن تيسر الأمر.. والأيام تمضى بسرعة معقولة، وإن كان لا تخلو من رتابة، فالباب يوصد علينا الساعة الخامسة والنصف مساء.. حيث نبدأ برنامجنا الرتيب بالاستحمام

– بعد توافر المياه – والوجبة الرئيسية وأحيانا الوحيدة.. التى تأتى من الخارج غالبا.. واليوم لم تأت لنا.. فأكلنا بيض السجن وجبنة بيضاء وزيتونا أسود (من خارج السجن) ولقلة الحركة فأنا لم أهضم هذه الوجبة حتى الآن رغم أن الفجر قد أقترب موعده، وبعد هذه الوجبة الرئيسية أختلس عدة ساعات للنوم.. حتى أسهر ليلا.. وبين صلاتي المغرب والعشاء أو بعد صلاة العشاء.. نقرأ سويا جزءا من القرآن الكريم مع محاولة دائمة لتحسين وتجويد التلاوة.. ثم ننقسم كل منا إلى برامجه الخاصة فى القراءة.. وأحاول أن أبقى ساهرا حتى صلاة الفجر.

أما أمس (الأحد) فقد بدأت كالعادة بقراءة الصحف التى لم يعد فيها ما يلفت الانتباه.. فعلى الصعيد المحلى تتواصل المبايعات للسيد الرئيس بصورة بلغت حد الشرك بالله.. فأنت إذا قلت لكثير من هؤلاء المبايعين المنافقين.. بايعوا الله.. فلن يجدوا كلمات أخرى غير تلك التى قالوها للسيد رئيس الجمهورية.. وهو ليس كمثله شيء.. فهو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن.. إلخ، حتى إن الأستاذ صلاح منتصر تشجع اليوم وكتب عموده فى أهرام اليوم منتقدا هذا الفيضان من المؤتمرات الغوغائية.. وفى هذا انتقاد صريح للحزب الوطنى ولكثير من الوزراء.

ومن الواضح أن البلد تكتم أنفاسها، حكاما ومحكومين، انتظارا لمدى التغيير المرتقب الذى أشار إليه الرئيس.. المحكومون ينتظرون كل شيء جميل.. ومن حق المحكومين أن يحلموا كما يشاءون.. وأن يتمنوا ما يريدون.. أما الحكام.. فهم فى اشد القلق.. الوزراء والمحافظون يتحسسون كراسيهم ورقابهم.. ورغم عزلتى الشديدة وشبه انقطاع الأخبار عنى.. فإنى أعتقد أن

الرئيس هو أكثرنا قلقا!! لا لأنه يخشى نتيجة الاستفتاء.. والمتوقع ألا تقل عن ٩٩٪، ولكن لأنه حائر بين طرفى معادلة صعبة.. الطرف الأول: رغبته فى إحداث قدر من التغيير المعقول الذى يدخل الأمل فى قلوب الناس ويزيد من شعبيته الفعلية (لا المعلنة فى الإعلام والصحف)، والطرف الثانى: رغبته فى تكريس استقرار الحكم وعدم المبالغة فى استفزاز الأعداء الخارجيين.

وقد أشارت أكثر من صحيفة إلى أن يوسف والى من الخارجين من الوزارة.. وهذا فى رأيى هو بيت القصيد.. والعقدة الرئيسية فيما يسمى التغيير.. لما يمثله "والى" من رمز وسلطة للوبى الصهيونى الأمريكى داخل البلاد.

ولا تفسير لدىّ لحبسنا بهذه العقوبة القصوى التى لا مثيل لها فى تاريخ الصحافة المصرية.. إلا أن ذلك قد تم لإرضاء هذا اللوبى ذى الأنياب والمخالب.. والذى استعرض جزءا بسيطا من قوته على سبيل التخويف والردع فيما سمى أزمة الدولار منذ أسابيع قليلة.

وبالنسبة لى فإن خروج والى من الوزارة.. أو مجرد تركه لوزارة الزراعة معناه أن حملتنا قد حققت أهدافها.. ولا يعنينى بذلك الرضاء الشخصى.. فالهدف الأساسى هو النجاح فى قضية عامة.. لإقناع الشعب بإمكانية التغيير.. وأن مقاومة الظلم والفساد والاختراق الصهيونى.. مهما علا واستغلظ.. ليس عملية عبثية.. ولسنا مجرد ساعين للاستشهاد دون أى أمل فى النصر.. ولسنا ساعين لكربلاء.. وإن كان يشرفنا أن نكون كشهدائها.. نحن نحب النصر ما دام فى سبيل الله والوطن.. وهذا ما جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

لابد أن الضغوط التى تجرى فى كواليس السلطة الآن بالغة الشراسة وستظهر نتيجتها بعد حوالى أسبوعين من الآن، حيث نشر أن الجنزورى سيقدم استقالته للرئيس يوم ٥ أكتوبر القادم.. وهكذا فإن الأيام القليلة القادمة ستمضى ممضة ومقلقة للمسجونين داخل وخارج السجون! حتى نعرف نتيجة هذه المباراة السرية.

كل شىء توقف تقريبا فى البلد بسبب هوجة المبايعة.. وأداء نقابة الصحفيين بالنسبة لقضية حبس الصحفيين شهد بدوره تراجعا ملحوظا.. ولم يحضر لزيارتنا أحد من المجلس بعد الزيارة اليتيمة لخمسة من أعضاء المجلس منذ حوالى ٣ أسابيع.

ويبدو أن الأحداث فى العالم العربى والعالم هى الأخرى تشهد ركودا.. وقراءة صحف اليوم لم تستدع إلا دقائق معدودة.. وحتى أحداث داغستان التى استهوتنى متابعتها فى الأسابيع الماضية بدأت تشهد ركودا.. بعد سلسلة الانفجارات المهولة التى خلعت قلب موسكو.

غريب هو أمر روسيا.. فلا هى قادرة على أن تستجمع قواها لتستعيد مكانتها على الساحة الدولية.. ولتصبح حليفا طبيعيا للعرب والمسلمين.. ولا هى قادرة على التعامل بقدر معقول من التسامح والمرونة مع الصحوة الإسلامية فى القوقاز.

أما لماذا استهوتنى أحداث داغستان؟! فلأننى وجدت فيها عزاء وعبرة.. فنحن هنا فى قلب العالم الإسلامى نتلقى الضربات تلو الضربات.. حيث يستجمع الشيطان الأمريكى كل قوته.. وهناك تراجع فى العلاقات المصرية –

السورية.. وفى الجبهة العربية الرسمية المناهضة للهيمنة الصهيونية الأمريكية.. بسبب الوعود الكاذبة لباراك.. وبسبب "واى ريفر" المهزلة، وبسبب تعليق العقوبات على ليبيا بصورة مشروطة.. ولا توجد إيجابيات ملحوظة فى العالم العربى فى الفترة الأخيرة.. إلا فى تطور الوضع فى السودان نحو الأفضل وبالأخص بعد بداية تصدير البترول، أما رئاسة العراق لمجلس الجامعة العربية فلا يبدو أنها قربتنا كثيرا من لحظة إنهاء الحصار.

بشكل عام لا يزال الوضع العربى يتجه إلى التدهور (لاحظوا أيضا حملة الأردن على حماس).

وسبب كل ذلك هو تراجع الموقف المصرى.. وبدون تصلب واضح ومبدئى ومتواصل من مصر فإن الوضع العربى سيواصل تدهوره.

وفى ظل الوضع العربى الكئيب.. وهو يمثل قلب العالم الإسلامى.. فإن أطراف العالم الإسلامى تحقق تقدما هنا وهناك.. وهذا ما ينعش الآمال الذابلة.

بهذه الروح تابعت أحداث داغستان.. ولا يخلو من مغزى أن قائد الصحوة الإسلامية هو عربى يدعى "خطاب"، ويقولون إنه من دولة خليجية (ربما يكون سعوديا).. ماذا سيفعل طواغيت الأرض فى هذه الصحوة الإسلامية، فكلما ضغطوا عليها هنا انفجرت هناك.. يضربون الإسلام فى الجزائر.. فيسلم ٤ من نجوم الكرة فى فرنسا.. يحتلون منابع النفط فيقود الجهاد فى وسط آسيا أبناء الخليج.. يا رب انصر أهلنا فى داغستان.. لا أملك لهم الآن إلا الدعاء.

لقد اقتربت بصورة شخصية من أحوال هذه المنطقة عندما كنت فى زيارة لباكو عاصمة أذربيجان.. وقد كان فى نيتى أن أذهب إلى الشيشان الملاصقة

لأذربيجان.. ولكن المرض أقعدنى ودخلت المستشفى.. وبينما كنت طريح الفراش لمدة أسبوعين تحولت غرفتى إلى ملتقى إسلامى عالمى.. وزارنى الشباب المسلم من كل الجنسيات، وكانت هذه من أكبر نعم الله علىّ.. وروى لى بعض هذا الشباب العامل فى الدعوة الإسلامية.. بعض الروايات عن داغستان.. وقالوا إن جماعة التبليغ والدعوة كانت من أوائل الجماعات التى ذهبت إليها للقيام بواجب الدعوة.. وعندما وصلت طلائع جماعة التبليغ والدعوة لإحدى قرى داغستان خرجت الجماهير عليها منشدة (طلع البدر علينا).. للتعبير عن مدى تمسكهم بالإسلام وشوقهم إلى الدعاة الإسلاميين.. لم أتمالك نفسى من البكاء وأنا أسمع تفاصيل هذه القصة المؤثرة التى توضح مدى تقصيرنا تجاه إخوتنا المسلمين فى هذه المناطق وغيرها.

وبعد قراءة الصحف قمت بالرياضة الوحيدة التى أستطيع القيام بها.. وهى المشى لمدة ساعة.. وهو علاج ضرورى لآثار العملية الجراحية.. واليوم (الاثنين) أذهب إلى مستشفى ليمان طرة لأخذ جلسة العلاج الطبيعى الرابعة.. ولا أشعر إلا بتحسن طفيف.

أنهيت اليوم كتابا فقهيا مهما من ٥٠٠ صفحة، وكعادتى فى السجون أهون على نفسى بقراءة الأدب.. وقبل كتابة هذه المذكرات كنت أقرأ فى قصة (ألعاب العلماء) للكاتب الفرنسى "بيير بول".. وهى قصة مملة، ولكن ما باليد حيلة، ليس لدى الآن سواها.. وهذا الكاتب هو مؤلف قصة (كوكب القرود) التى أخرجت فى الفيلم السينمائى الشهير.. وأشعر بالملل بشكل خاص بعد قراءتى يوم الجمعة الماضى لقصة رائعة هى قصة العقيد "حمدى البطران"

(يوميات ضابط في الأرياف)، لا أدرى ما الذى جرى للعقيد حمدى فى محاكمته بسبب هذه القصة؟! ولكننى أقترح على اللواء حبيب العادلى أن يعطيه جائزة عليها.. لأنها وثيقة إدانة حية لكل سلبيات الشرطة فى عهد الألفى.. ويمكن أن تكون دليلا عمليا حيا لإصلاح أوضاع الشرطة.. والتى بدأها بالفعل الوزير الجديد.

ورغم الطابع التسجيلى للقصة.. إلا أنها تمتلك الخاصية الأساسية للعمل الأدبى الناجح.. فأنت لا تستطيع متى بدأت قراءتها إلا أن تواصل حتى النهاية وفى شوط واحد.. وهذا ما حدث معى.

وأخيرا.. وأنا فى الثلث الأخير من الليل.. أدعو الله..

ربنا أعفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.. ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين أمنوا.. ربنا إنك رؤوف رحيم.

ربنا أنصرنا على الظالمين.. والكافرين. والمنافقين.. وعبدة الشيطان والمال.. واللوبى الصهيونى.

ربنا انصرنا على ضعفاء الإيمان.. محبى الدنيا.. الذين يعرقلون ويحاربون جهادنا فى سبيلك.

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: "من يدعونى فاستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟").

يا رب أستغفرك وأتوب إليك.. اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ، وأبوء بذنبى فأغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم إن حاجاتى كثيرة.. أنت أعلم بها مـن نفسـى.. أسـألك النصـر علـى أعداء الوطن وأعدائك الذين يحملون أسماء إسلامية.

إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحلقة الثانية

- أناشد وزير الداخلية وقف إهانة وضرب المساجين الجنائيين فى سجن ليمان طرة.
- والسماح للإخوان المسلمين بأداء صلاة الجمعة فى سجن مزرعة طرة.

الثلاثاء ٢١/٩/١٩٩٩ الساعة ٢,٣٠ صباحا

سجن مزرعة طرة - عنبر ٤ - زنزانة الملاحظة الطبية

في نفس الموعد تقريبا أعود للكتابة رغم عدم وجود أحداث تذكر، ولا زيارات تصلنا بالعالم الخارجي، أمس الاثنين ذهبت لجلسة العلاج الطبيعي، وقد كان يوما مضنيا، استمرت الرحلة قرابة خمس ساعات، ضاع معظمها في انتظار سيارة الترحيلات "الإسعاف" ولم أستطع أن أتبين هل سوء المعاملة هذا مقصود أم لا؟! وسأتأكد من ذلك إذا تكررت نفس المعاملة في الجلسة القادمة غدا الأربعاء.

الذهاب للمستشفى يقتل الوقت ويتيح لى مقابلات سريعة مع عدد واسع نسبيا من المساجين.. ورغم التعليمات المشددة بمنعي من الاتصال بالمساجين خاصة الإسلاميين، إلا أننى أتمكن من ذلك بسبب طول بقائى فى المستشفى.. وتراخي الحراسة من حولى فى بعض الأوقات أو الأماكن.. وكان معى فى الترحيلة اثنان من الإخوان المسلمين.. د. فتحى عضو نقابة الصيادلة، ومحمد الشاذلى من الوراق.. واللذين لا أراهما رغم وجودهما معى في نفس السجن، لأن الإخوان محظور عليهم الخروج من عنبرهم الخاص حتى لأداء صلاة الجمعة، ويوجد بالعنبر قرابة الثمانين شخصا.. فى إطار الضربات الإجهاضية والاستنزافية المتواصلة للإخوان.. وحيث يبقى كل منهم في المتوسط خمسة أشهر.. بقرارات نيابة دون تحويل القضايا للمحكمة، وهذا يعتبر تقدما.. بعد توقف المحاكم العسكرية!!

وفى المقابل فإن الذهاب لمستشفى ليمان طرة عملية كريهة.. لأنه كائن فى سجن ليمان طرة.. وهو من السجون السيئة، حيث لابد أن ترى فى كل مرة

مناظر مؤذية.. فمعاملة المسجونين بالغة السوء.. وضربهم عملية روتينية بالصفعات أو الركلات أو العصى التى يحملها المخبرون فى أيديهم، وأنا أتأمل فى وجوه المخبرين والعساكر وصف الضباط باستغراب شديد.. أى نوع من البشر هم.. وجوههم غريبة.. وملامحهم قضت من شمع غير محدد اللون.. ونفوسهم مريضة.. وقد هددت ضباط السجن الذين يحسنون معاملتى مرة.. ويتجاهلوننى فى مرة أخرى.. هددتهم أننى لا يمكن أن أواصل الصمت على هذه المناظر المؤذية.. وأننى سأضطر للكتابة عنها إذا تواصلت أمامى.. وهذه المعاملة السيئة للمسجونين الشبيهة بمعاملة السائمة بل أشد سوءا، لأن الفلاح أو الراعى لا يمكن أن يعامل ماشيته إلا باللين والحب! هذه المعاملة تنصب أساسا على الجنائيين.. أما الإسلاميون فإن هذا السجن يعتبر من أفضل السجون بالنسبة لهم.. من حيث المعاملة.. ومن حيث السماح لهم بالزيارة.. وبهذا السجن الجاسوس عزام عزام الذى يعامل أفضل معاملة.

وممن قابلتهم اليوم صالح جاهين المحكوم عليه فى قضية اغتيال السادات.. والذى أنهى حكمه منذ عامين أو أكثر ولا يزال محتجزا بالسجن، المهم لقد عدت الساعة الثالثة بعد الظهر إلى بيتى ومستقرى فى سجن مزرعة طرة.. لأتصفح الصحف.. ولم أجد ما يلفت نظرى فيها بشكل خاص، إلا أن صلاح بديوى نبهنى لخبر صغير فى جريدة "الأسبوع" يقول: إن الإعلان عن موعد النقض فى قضيتنا سيكون يوم ١٤ أكتوبر، أى بعد ثلاثة أسابيع من الآن، وهذا يعنى أن النقض سيكون بعد شهرين من الآن تقريبا.. وهذا موعد أبعد من التقديرات المتفائلة للمحامين التى وردت إلينا، ومع ذلك فإن الذى يشغلنا الآن هو التعديل الوزارى، فهذه هى المحطة الأولى التى تجذب الانتباه،

وهى الأكثر أهمية. ونحن مهيئان لقضاء الحكم الحالى، والذى حسبته ووجدته ينتهى فى ٦ أكتوبر عام ٢٠٠٠، على أساس الخروج فى نصف المدة.. أى بعد قرابة سنة من الآن.

وأنا أستفيد من خبرة حبسى السابقة.. فى حسن استخدام الوقت.. وكان الإنجاز الأكبر هو هذا التسكين المنفرد لنا.. ثم بعد ذلك التركيز على التفقه فى أمور الدين لإحداث مزيد من التوازن بين الثقافة الدينية والثقافة السياسية، وذلك عوضا عن استكمال دراستى حول الكيان الصهيونى التى بدأتها فى السجن العام الماضى.. فضلت هذه المرة الانقطاع للإسلاميات، وهذا ما رحب به صلاح بديوى الذى يلتهم الكتب بمعدلات سريعة.

وأنا شخصيا ألتهم كل ما يصلنا من الكتب وأقوم بعمل ملخصات واقتباسات فورية.. وهذا أصعب جزء فى إعداد الدراسات.

الثغرة الأساسية أننى لم أنتظم بعد فى حفظ القرآن.. وإن بدأت عملية تثبيت الأجزاء المحفوظة من خلال الصلاة.

أنهيت اليوم قصة "ألعاب العلماء" حيث كان الجزء الثانى منها أقل مللا من الجزء الأول.. وإن كانت تصلح أكثر كفيلم شيق، أكثر من أن تكون رواية مكتوبة، ولكن أهميتها تكمن فى أنها تعكس أزمة الحضارة الغربية المادية، هى قصة خيالية قائمة على فكرة استيلاء العلماء الطبيعيين على حكم العالم، وإلغاء الحروب والصراعات، وتحقيق أعلى مستوى من الرفاهية المادية.. ومع ذلك فإن العالم يظل يعانى من الخواء الفكرى والروحى، ويسعى إلى الغيبيات مجددا، كما أن حكومة العلماء العالمية رغم أنها ألغت الجيوش والحروب، إلا أنها نتيجة حالة الخواء الروحى وارتفاع نسبة المنتحرين، بدأت فى اختراع ألعاب

تقوم على العنف والقتل، وانتهت إلى تنظيم ألعب لتسلية الجماهير على طريقة حروب حقيقية.. يفنى فيها جميع المشتركين!!

والحقيقة أن الحضارة الغربية هى التى اخترعت الألعاب التى تؤدى إلى الموت، بدءا من الحضارة الرومانية، وألعاب المصارعة التى تنتهى بموت أحد الأطراف مرورا بمبارزات العصور الوسطى، وانتهاء بلعبة مصارعة الثيران التى تكتفى بقتل الحيوان بدلا من الإنسان.

والرواية رغم قيامها على الخيال، إلا أنها تثير عددا من القضايا من منظور غربى:

١- إن التقدم المادى لا يحل مشكلة الغذاء الروحى للإنسان، والرواية لا تقدم ولا تشير إلى حل هذه المعضلة، فهى لا تلمح لعودة التمسك بالدين ولكنها ترمز للغيبيات فى اتجاه الناس لقراءة المستقبل عن طريق النجوم!

٢- إن العنف لا يمكن القضاء عليه، فهو سمة من سمات حياة البشر.. وهذا ما تؤكده الرؤية الإسلامية بدءا من حادث قابيل وهابيل، وانتهاء بالنص الدستورى القرآنى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾، الرؤية الإسلامية تقر بهذا الواقع، ولكنها تفرق بين العنف المشروع والعنف غير المشروع، وإن السلام والمحبة والتسامح والتعارف هى الأهداف السامية العليا للحضارة البشرية، ولكنها لا تتأتى بدون قوة تحميها، وإن العنف والحروب شر لابد منه، وإنها أشبه بالمرض الذى يجب مقاومته، ولكن لا يمكن القضاء عليه تماما.

أما العنف أو الحروب عند الغرب فهى غير منضبطة بأى إطار أخلاقى، وليست إلا أداة للسيطرة والقوة واستعباد الآخرين.

بدأت الدراسة في المدارس والجامعات يوم السبت الماضي، وهذا أفضل بالنسبة لأحمد وهشام، لأن حياتهما تنضبط أكثر خلالها، أرجو أن اسمع عنهما خيرا في الزيارة القادمة، لكن الله في عون أمهما، لا أعرف كيف تلاحق على أعبائها.. تجاهها.. وتجاهي في السجن.. وفي الحزب.. ولكن معدنها الأصيل يتجلى في الأزمات.

دعاء اليوم:

اللهم يا عدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كربتي، أحرسني بعينك التي لا تنام وأكنفني بركنك الذي لا يرام، وأرحمني بقدرتك، فلا أهلك وأنت رجائي.. اللهم احرزني بحرز قدرتك من كيد الأعداء، وخلصني بمنك عن سوء قصد الأشقياء، وأعوذ بك من قهر القاهرين وظلم الظالمين وكيد الأمراء الحاسدين وطعن الأشقياء المفسدين وشماتة الأشهاد المعزين، اللهم إنك تعلم أنني أتحمل – بفضل منك – ابتلاء السجن فزدني له احتمالا.

اللهم إنك تعلم أن شقائي الأكبر ومبعث حزني الأعظم أن يسود الظلم وأن يتربع الأعداء على عرش البلاد ورقاب العباد.. فانصرنا حتى نتقدم إلى الأمام رافعين راية الحق والدين.

وصلى الله على محمد وآل محمد.. والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

- مهمة "الشعب" ومهمتى أن نقول علنا ما يقوله معظم الناس سرا.

السبت ١٩٩٩/٩/٢٥ الساعة الثانية وأربعين دقيقة صباحا

أواصل الكتابة في نفس الموعد تقريبا.. حيث ينتابنى فى هذا الموعد تقريبا كل ليلة صداع.. ثم يزول تلقائيا بدون أدوية.. والعجيب أنه منتظم كالساعة!

يوم الثلاثاء الماضى كان حافلا.. فكانت زيارة موسعة ضمت الأستاذ إبراهيم نافع - نقيب الصحفيين - فى أول زيارة له ومعه يحيى قلاش.. وهذه ثانى زيارة للنقابة خلال ٤٠ يوما.. وتصادفت مع زيارة أسرتى: الأستاذ عادل حسين وزوجتى العزيزة وابنى أحمد وأختى إحسان وضابط من أمن الدولة جاء برفقة النقيب.. وكانت الزيارة محملة بكل ما لذ وطاب من المأكولات والمقروءات.. وأكد إبراهيم نافع أن النقابة تعمل بصورة حثيثة للتوصل إلى مشروع تشريع يمنع حبس الصحفيين، وأنه سيتم الانتهاء منه قبل افتتاح دورة مجلس الشعب فى منتصف شهر نوفمبر.. ومن ناحية أخرى فإن النقابة تتابع مرحلة نقض الحكم الصادر ضدنا.. واستمعت بعد ذلك إلى آخر التطورات السياسية من خلال الأستاذ عادل حسين، وأطمأننت على أحوال الأسرة التى تسير بصورة معقولة مع بعض المشكلات المالية التى لم تتحول بعد - والحمد لله - إلى مشكلة خطيرة، وابنى أحمد يتعجل إصدار رخصة قيادة للسيارة بعد أن أتم الثامنة عشرة.

وقد خوفته بحادث ابن شلاضيم - عضو مجلس الشعب - الذى أصبح رفيقى فى نفس العنبر.. ونصحته بعدم التعجل!!

المهم كانت الجرعة كبيرة.. وقلت لنفسى بعدها هذا ليس سجنا.. وقد رد علىّ الزمان بانقطاع الزيارات حتى اليوم.. فعدت أشعر بالسجن من جديد.. خاصة وقد أصابتنى توعكات صحية أمس وأمس الأول.. ولكننى الآن بخير والحمد لله.

لم تأت سيارة الترحيلات يوم الأربعاء.. فرحمنى الله من سجن ليمان طرة، وأعتقد أن الانتظام يوميا فى السير على الأقدام لمدة ساعة أهم من علاج طبيعى، وأهم من جلسات الكهرباء.. ولكننى أواصل العمل فى كل الاتجاهات حتى أتجاوز آثار العملية الجراحية التى استطالت لعشرة شهور.

كان من المفروض أن أبدأ الصيام اليوم.. ولكن من آيات ارتباك الدولة أنها تراجعت عن إعلانها السابق وأجلت التوقيت الشتوى إلى يوم ٣٠ سبتمبر، وهذا الارتباك طبعا من ضمن "تولة" الدولة بحكاية الاستفتاء الذى سيجرى غدا.

بإمكانى بالطبع أن أبدأ الصيام.. فليست هذه الساعة هى المشكلة، ولكنه نوع من تأجيل البرامج.. ووضع أهداف جديدة لفترات قادمة لكسر الملالة والرتابة.

أمس الجمعة كان يوم الأجازة، حيث تنتاب السجن حالة من الهدوء، وهو يوم الشئون الإدارية بلغة الجيش.. يوم النظافة العالمى بلغة الملكيين، حيث يتم تنظيف الزنزانة بالماء والرابسو والفنيك تحت الإشراف الحازم لصلاح بديوى.. ثم صلاة الجمعة بالمسجد.

وأنا غارق حتى الأذقان فى كتاب "الخلفاء الراشدون" تأليف عبد الوهاب النجار.

وهو ملىء بالمعلومات الثمينة غير المطروقة استنادا لأمهات الكتب، وعلى رأسها الطبرى، وهو يوضح أن ما لا نعرفه عن حياة ومواقف أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب أكثر بكثير من القصص الشائعة، وهو ما يوضح حجم التقصير المخل إلى حد الإجرام فى المناهج التعليمية، والبرامج الإعلامية الدينية وخطب المساجد.. وهذا طبيعى لأن التركيز على المبادىء الدستورية التى حكمت هؤلاء

الحكام الإسلاميين الأوائل يفضح الأوضاع المزرية لحكامنا ومعظم حكام العرب والمسلمين في الوقت الحالى.. كذلك انتهيت من كتاب "ليالى فاروق" لمصطفى أمين.. وقد قرأته تحت بند القصص الترفيهية.. ولكنه بالإضافة لجانبه الترفيهى.. فيه بعض المعلومات السياسية والتاريخية المهمة.. ولعل أبرزها ما يوضح ارتفاع مستوى الطبقة السياسية قبل الثورة بالمقارنة مع فئة الموظفين التى تحكم البلاد الآن.. وكذلك المعلومات التى تؤكد استقلال القضاء بصورة أكبر عن وضعنا الراهن.. حتى إن الملك فاروق كان يعجز عن إدانة بعض خصومه من خلال النيابة والمحاكم.

ومن عيوب الكتاب أنه لم يتطرق لموقف فاروق من أحمد حسين، رغم أنه أشار إلى جريدة الاشتراكية فى موضع واحد بمناسبة إعادتها نشر مقال من أخبار اليوم عن فاروق.

تفاصيل حياة فاروق الشخصية مفزعة، وكانت الألسن تلوكها قبل الثورة.. ولكن التاريخ يشهد أن جريدة الاشتراكية ومقالات أحمد حسين بالذات هى التى ضربت فاروق بكل قوة بالتصريح وليس بالتلميح.. وكان هذا من أهم عوامل انهيار حكمه.

وقد ورثت "الشعب" وورثت أنا شخصيا - رغم أنفى - هذه الخاصية الكيميائية.. فإن مهمة "الشعب" ومهمتى أن نقول علنا ما يقوله معظم الناس سرا.. وأن نقول صراحة.. ما يقوله غيرنا تلميحا.. وليس هذا كما يتصور البعض "قلة حنكة"، أو "نقص فى الدراية بالقانون"، أو "تهور غير محسوب"، فما نقوم به من مواجهة وتحطيم لرموز الفساد واجب كفائى.. لابد أن يقوم به فرد أو جماعة نيابة عن الأمة.. ولا سبيل للإصلاح بدون ذلك، ولا معنى لفريضة

"الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" إذا اقتصر الأمر على مجرد العموميات.. أو إذا تم تمييع عملية توصيف الجرائم وتحويلها لمجرد أخطاء أو هفوات.. أو وجهات نظر لا تفسد للود قضية!!

وقد ذكرت أكثر من مرة من قبل أن مهمتنا هذه أشبه بمهمة الصاعقة فى الجيش التى تعمل خلف خطوط العدو.. وتضرب فى قلبه.. ولذلك فإن هذا السلاح معرض للخسائر أكثر من غيره.. ولمخاطر أكبر.. وهذا ما يحدث لنا.. فنحن نتعرض لمخاطر كبيرة ومن بينها السجن.. ولكن المسألة هى هل هذه المهمة ضرورية أم لا لإصلاح المجتمع؟ فإذا كانت كذلك ولا يوجد غيرنا يقوم بها.. فيجب أن نقوم بها ونتحمل فى سبيل ذلك العواقب المقدرة.. ونسأل الله أن يتقبل.

الحلقة الرابعة والأخيرة

- "مليون قالوا لا لمبارك".. هذا إخراج جيد!
- التغيير المتوقع ليس تغييرا.. وسيحتفظ بأسوأ الوزراء!
- إذا كان كل هؤلاء باقون.. فعن أى تغيير تتحدثون يا سادة؟!
- أنباء التعديل الوزارى: والى مشمئنط ويريد الاحتفاظ بكل شىء.. فهل سيخضعون له؟

الأربعاء ١٩٩٩/٩/٢٩ الساعة ٤ صباحا

لولا الملل الذى أصابنى من قصة "الأرض" لعبد الرحمن الشرقاوى لما توجهت لكتابة المذكرات.. و"الأرض" ليست سيئة ولكنها ليست رائعة، وربما لا تستحق الضجة التى أحاطت بها.. ربما بسبب الفيلم السينمائى المأخوذ عنها.. وعلى أى حال أؤجل حكمى النهائى عليها حتى الفروغ منها تماما.. وقراءاتى لهذه القصة من أقدار السجن.. فهذه القصة أمامى منذ سنوات طويلة فى المكتبة وأحدث نفسى بقراءتها منذ أكثر من ٢٠ سنة.. وها هى تأتى إلىّ دون أن أطلبها.

أحمد الله حمدا كثيرا وأسبحه بكرة وأصيلا، ففى أغلب الأوقات تتملكنى حالة عميقة من الراحة وخفة الروح حتى أشعر وكأننى سأطير فى الهواء.. وأسبح فى الفضاء.. وأننى أزداد قربا لله.. أشعر بتجربة ملموسة كيف يتحول الإيمان إلى واقع مادى وجسدى مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأيضا: ﴿قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾.

وتتنزل علىّ السكينة رغم أن لدى من أسباب القلق والضجر والغيظ والحنق ملء المحيطات.. ولكنه فضل الله ورحمته: ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ولا أنكر أن مشاعر الغيظ والحنق تستولى علىّ لأسباب عامة وخاصة.. لمنغصات كبرى ومنغصات صغرى.. فتصرفات الحمقى والمنافقين والأنذال التى تحدث خارج السجن وتصلنى تثيرنى أيما إثارة، وتتحول نفسى إلى بحر هائج،

أو كإعصار من أعاصير المحيطات.. ولكن سرعان ما يتحول الغيظ بقدرة قادر إلى سحابة صيف.. وأعود إلى سكينتى بأكثر وأعمق مما كنت، ساخرا من الدنيا وتهديداتها، متطلعا لمستقبل أكثر إشراقا سيأتى من كل بد.. وإن كان علمه وتوقيته عند علام الغيوب.

هذا عن الأحوال العامة.. أما عن الأحوال الخاصة.. فأنا منذ يوم السبت رهين مشكلة بالغة السخف تجسد معنى السجن.. وإن السجن سيظل سجنا مهما كانت فيه الأمور ميسرة.. فقد أرسلت نظارة القراءة لإصلاحها على أن تعود إلىّ فى اليوم التالى، ومرت ثلاثة أيام واختفت النظارة وكأنها ضاعت ولم تعد حتى الآن، وهذا أكبر مقلب يمكن أن يتعرض له أمثالى فى السجن.. حيث القراءة هى عماد عمله، وكلما تحضر الطبلية (الأكل من الخارج) بدون النظارة أشعر بحالة من الغيظ لا يمكن أن توصف.. ومع ذلك فأنا أواصل القراءة رغم المعاناة والصداع، وأحمد الله أننى ما زلت أستطيع القراءة بدونها.

ورغم أن اليوم شعرت أن النظارة قد ضاعت وأن استخراج أخرى يعنى ١٠ أيام أخرى (وذلك من خلال إجراء كشف طبى بمستشفى ليمان طرة ثم إرسال الكشف للخارج وانتظار الفرج)، ولكن لابد أن تحدث هذه المنغصات حتى لا أنسى أننى فى سجن.

الصحف ما زالت رائعة.. لأنك لا تجد فيها شيئا تقرؤه! ! فما زالت توابع الزلزال (أقصد الاستفتاء) مستمرة.. إعلانات وتهانى، وتكبير، وتهليل لغير الله.. وهكذا نوفر الوقت لما هو أجدى من قراءة الصحف.

ولكن نتيجة الاستفتاء تشير إلى أن هناك عقلية بالفعل تسعى لإحداث نوع

من التغيير.. فلم تأت النتيجة ٩٩,٩٩٪، ولكنها انخفضت إلى ٩٣,٧٪، والأهم من ذلك أن النتيجة تقول إن الذين قالوا لا بلغوا مليون مواطن و١٦٠ ألف ويزيد، وقد جاءت هذه الأرقام صفعة على وجوه غلاة المنافقين، والمهرولين، الذين بايعوا بمناسبة وبدون مناسبة، فأخزاهم الله وكسف بالهم.

ولكن ستظل البلاد فى حالة انعدام وزن حتى يعلن عن التغيير الوزارى.. والتغيير في المحافظين، ومن غير المتوقع أن يأتى التغيير جوهريا وشاملا، بل سيكون محدودا، ولكنه فقط سيكشف عن بعض الدلالات.. هل سيسعى النظام إلى تجديد شبابه بعد طول شيخوخة؟! وهل سيسعى إلى مواقع أكثر استقلالية عن الحلف الصهيونى - الأمريكى؟! وإلى أى مدى؟! لم أعد أهتم بتحليلات الصحف حول التوقعات تحت شعار (يا خبر بفلوس بكرة يبقى ببلاش).

الجمعة ١٠/٧/ ١٩٩٩ الساعة ٣,٣٠ صباحا

أمس كان ٦ أكتوبر، وهو عيد العبور، وعطلة رسمية داخل وخارج السجن، فلا زيارات ولا طبليات ولا طوابير ولا يحزنون!

أخطر الأنباء جاءت من الصحف حول ملامح التغيير الوزارى المرتقب، وقد جاءت مع الأسف كما توقعت.. فهى حتى الآن تبدو محدودة وبدون أى مغزى كبير أو صغير يوحى بالتقدم إلى الأمام على أى صعيد من الصعد.

الصحف الرسمية تشير إلى بقاء يوسف والى فى مجلس الوزراء، ولكن كنائب لرئيس الوزراء ومسئولا عن المشروعات القومية الكبرى (وعلى رأسها بالطبع توشكى وشرق العوينات!!)، أى أن التقدم الذى حدث هو إقصاء والى عن وزارة الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية واستصلاح الأراضى.. وهذا بلا شك إنجاز إن حدث، ولكن بقاءه فى مجلس الوزراء وتوليه عملية إفساد المشروعات الزراعية الجديدة أمر مثير للغثيان.. وتقول جريدة "الوفد" إن رئيس الوزراء الجديد عاطف عبيد ذهب لزيارته في منزله.. بما يعنى أن السيد والى مشمئنط من هذا الاقتراح.. فهو كان يطمع فى تولى رئاسة الوزراء أو البقاء فى مواقعه على أقل تقدير.

وربما يرفض والى هذا الاقتراح لأنه أيضا سيحوله إلى أحد نواب رئيس الوزراء بعد أن كان النائب الوحيد، وربما يقبله.. وربما وهذا احتمال ثالث يفرض شروطه كما فرضها فى التعديلات السابقة ويبقى فى موقعه كما هو.. ولن نتأكد من كل ذلك قبل يوم السبت القادم.

وبدا حتى الآن أن الضربة الرئيسية موجهة إلى كمال الجنزورى.. وهذا أمر مثير للسخرية.. لأن كمال الجنزورى ومجموعته لم يكونوا الجناح الأكثر سوءا فى مجلس الوزراء.. كما أن د. عاطف عبيد لا يمثل إضافة جديدة أو دم جديد لأنه عضو بالمجلس منذ سنوات، وإن كانت معلوماتى عنه شديدة المحدودية، ولكن مجيئه كبديل للجنزورى لا يعطى مغزى واضحا بأن ثمة تغيير. وهذا انطباعى الأول.

ووفقا للمنشور اليوم فإن الباقين فى الوزارة من بينهم فاروق حسنى، وسيف النصر، وكمال الشاذلى.. فعن أى تغيير تتحدثون يا سادة؟! وفى المقابل نجد فى الخارجين: ممدوح البلتاجى وحبيب العادلى (بسبب حادث بور سعيد)، وقد كانا من أفضل عناصر مجلس الوزراء دون أن يكون فى ذلك اعتراض مبدئى على اللواء مصطفى عبد القادر كوزير للداخلية.

كذلك فإن خروج ماهر أباظة وسليمان متولى.. لمجرد بلوغ السن!! وباعتبارهما فى وزارتى خدمات فإن تغييرهما لا يؤثر على التوجهات السياسية العامة.. ولماذا تخرج ميرفت التلاوى وهى بالكاد بدأت عملها؟! ولماذا د. محى الدين الغريب؟ طبعا فإن أحدا لن يرد علينا.. ولن تقدم لنا أى أسباب وراء هذه التعديلات.. وهل يعد وزيرا الإسكان والصحة من الناجحين؟!

أسئلة لا تجد إجابة! أما بقاء عمرو موسى فهذا هو الشىء المنطقى فى كل هذا التوجه الذى إذا انتهى بهذه الصورة فإنه أقل ما يوصف به سيكون تغييرا غير مفهوم.. أو تغييرا لم يحدث تغييرا.. وخرج وزير التعليم.. ولكن المهم من هو الوزير الجديد؟ وهل سيملك سياسة مغايرة لسياسة سابقه التغريبية؟!

باختصار أن التعديلات المنشورة إذا استقرت فإنهـا تؤكـد استمرار عـدد لا بأس به من الوزراء الذين ليسوا فوق مستوى الشبهات.. كذلك استمرار وزراء من نوعية (أشباه الرجال) لا أدرى السر الدفين فى التمسك بهم.

المنشور حتى الآن يؤكد أن التغيير لا يسر عـدوا ولا حبيبـا.. ولننتظـر ٤٨ ساعة أخرى عسى أن يحدث ربك أمرا.

وفى ظل هذا المناخ المؤلم فإن مصيرنا فى السجن يصبح فى مهـب الـريح.. ولكنى توكلت دائما على الله وهو حسبى، وقد وضعت خطتى بالفعل كأنى بـاق فى السجن حتى أكتوبر ٢٠٠٠، إذا لم تأت أحكام جديدة فى قضايا أخرى.

وقد وصلتنى منذ أيام نظـارة القـراءة مـع د. صـلاح صـادق، ومعهـا كعكـة هولندى لا مثيل لها فى جمهورية مصر العربية! من صنع زوجته، ولست مقبلا على الأكل بأى صورة من الصور، ولكنى أسعد بهذه العلامات والإشـارات التـى تعبر عن دفء التعاطف من دوائر غير قليلة من الناس.

وقد سعدت مثلا عندما علمت أن الأكل الذى يصلنا مـن الخـارج يـتم كلـه بالتطوع وفق جدول زمنى.. وأن الدورة لم تتكرر حتى الآن.. وهذا يعنـى أن ٥٠ أسرة حتى الآن قد جهزت لنا ٥٠ وجبة.. وهذه المعانى هى التى تسعدنى.. أما الأكل فإننا نوزع معظمه على الأصـدقاء والسـجناء الأعـزاء.. وهـذا يكـون مبعثـا لسعادتى، وتحت شعارى الأزلى (ونحن بمال الخيرين نجود)!

اليوم إن شاء الله أبـدأ اليـوم السـابع لصـيامى المتواصـل منـذ أول أكتـوبر، وسيتواصل حتى ٢٥ أكتوبر إن شاء الله.. وليس هذا من النوافل بل تعويضا عـن إفطارى فى شهر رمضان الماضى بسبب إجراء العملية الجراحية وتوابعها.. على أن أواصل بعد ذلك صيام الاثنين والخميس بإذن الله.

منذ أيام وصلتنى أول رسالة متكاملة من القراء. (وهى من قارئة) ولأن مثل هذه الرسائل تشد أزرى أكتبها بنصها باعتبارها الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى فى الله.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، أعلم أنك عليها قائم وأنك لها أهل.. وأنك تعلم أكثر مما أعلم، وتدرك حجم ما يحاربون من أجله وما تجاهد أنت فى سبيله، وتعلم أن البيع قد ربح، ولكنى أخشى عليك تحول النية، وقد كان يخافها ويرتعد منها من لهم سبق الجهاد والتعذيب فى سبيل الله، فقد كان سلفنا الصالح لا يخافون العمل بقدر ما يخافون تحول النية عنه ولو فى منتصف الطريق أو آخره، فللقلب نوازع وللشيطان حيل، وتجديد النية وإخلاصها لوجهه تعالى تحفظ للقلب مستقره، وتضفى فى العقل عزة ومنعة من مكائد الشيطان.

أدعو الله أن يكون ابتلاؤك فى ميزان حسناتك، وبراءتك إلى الله فى يوم يجل عن الوصف، ويعظم عن التعبير.

نستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه.

منال على

والآن إلى صلاة الصبح.

وانقطعت كتابة اليوميات.

هذه المذكرات

كتبت هذه المذكرات يوما بيوم داخل السجن، واليوم أنشرها بدون أى تعديل رغم ما قد يكون تغير فى آرائى بالنسبة لبعض التقديرات والأمور الجزئية، وهى أقرب للعمل الأدبى من أى شىء آخر رغم انطوائها على العديد من التأملات والآراء السياسية والنظرات الفكرية. ولكن أهميتها فى أنها – مع المذكرات المماثلة للمساجين السياسيين – تنشر ثقافة السجن! وتسقط الحجب عن هذا المجهول المخيف لمن لم يخبره من الشباب، وتسقط هيبته، وتوضح حدود مشكلاته بشكل واقعى دون تهويل أو تهوين.



مجدى أحمد